عقيدة التثليث عند النصارى وموقف الإسلام منها

إعداد

دكتور / فضلون محمد محمد مصطفى

مدرس بقسم العقيدة والفلسفة بالكلية

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونستهديه ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً ، وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه أجمعين إلى يوم الدين .

وبعد ..

فمما لا ريب فيه أن المسيح عليه السلام هو روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة وهو عبد الله ورسوله الذي أرسله الله إلى بني إسرائيل وأنزل عليه الإنجيل تصديقا له في دعواه .

وهذه حقيقة ثابتة وراسخة في القرآن الكريم قال تعالى : " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً " (١).

ولكن النصارى قالوا ما قالوا فيه ، وافتروا عليه الافتراءات الكاذبة والادعاءات الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان فتارة يزعمون أن المسيح عليه السلام هو الإله وتارة أخرى يزعمون أنه ابن الله وتارة ثالثة يزعمون أنه ثالث ثلاثة .

---

(١) سورة مريم الآيات : ٢٩ ـ ٣٣ .

والذي دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع عدة أسباب :

أولها : مغالاة النصارى في المسيح عليه السلام وأن هذه المغالاة جعلتهم يخرجون من نطاق التوحيد الخالص إلى الشرك المطلق .

ثانياً : أن عقيدة التثليث عند النصارى من أهم العقائد عندهم، فقد أمنوا بها إيمانا كاملاً دون شك أو ريب مع أن العقل لا يقبلها .

ثالثاً : أن المسيح عليه السلام بريء من هذه العقيدة الفاسدة ورسالته خلت من الأدلة عليها .

ولقد قسمت البحث إلى خمسة مباحث رئيسية والمباحث هي:

المبحث الأول :

في الجذور التاريخية للتثليث .

المبحث الثاني :

في معنى التثليث عند النصارى وكيف انتقلت إليه هذه العقيدة

المبحث الثالث :

في المراحل التي مرت بها العقيدة النصرانية .

المبحث الرابع :

بولس وأثره على العقيدة النصرانية .

المبحث الخامس :

البراهين الساطعة في إبطال عقيدة التثليث عند النصارى .

المبحث الأول

الجذور التاريخية للتثليث

إن عقيدة التثليث التي يدين بها النصارى تمتد جذورها إلى كثير من الديانات الوثنية التي سبقت النصرانية ، مما يدل على أن الوثنيين المتنصرين نقلوها إلى النصرانية ، وفسروا بعض الألفاظ الواردة في كتبهم على أن تعطيهم شبها يتكئون عليها في هذا التضليل ، على الرغم أن آيات التوحيد الواضحة القوية التي يمتلىء بها كتابهم المقدس ولا تحتاج إلى تأويل [١] .

أولاً : التثليث عند المصريين القدماء :

لقد تأثر المصريون القدماء في ديانتهم باليهود منذ ٧٠٠ سنة قبل المسيح عليه السلام ، وكانوا يعبدون الإله آمون ذو الثلاثة أقانيم وهي أمون الأب ، وكونس الابن ، ومون الأم والدليل على ذلك، أنه وجد في معابدهم وآثارهم رسوماً خاصة يعبرون بها عن عقيدتهم في التثليث الذي يفسرونه بالمادة والقوة والروح ، ويرمزون له في صدورهم بهيئة شيخ هرم ، وشاب يحمل صليبا ، وجناحي صقر وفي أحيان أخرى يرمزون له بوكر وأفعى وجناح طير [٢] .

وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين القدماء هو قولهم بلاهوت الكلمة ، وإن كل شيء صار بواسطتها ، وأنها أي الكلمة منبثقة من الله وأنها الله ، وكان (بلاتو) عارفا بهذه العقيدة الوثنية وكذلك (أرستو) وغيرهما .

---

(١) التثليث بين الوثنية والمسيحية د / محمود حماية ص ٧٦ .

(٢) المسيح والتثليث : د / محمد وصفي ص ١٤٣ .

وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين ولم نكن نعلم أن الكلدائيين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا في هذه الأيام وكما أن للكلمة مقاماً سامياً عند المصريين القدماء (الوثنيين) كذلك يوجد في كتبهم الدينية المقدسة هذه الجملة إني أعلم بسر لاهوت الكلمة وهي كلمة رب كل شيء وهو الميح لها. فالكلمة هي الأقنوم الأول بعد الإله وهي غير مخلوقة ، وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات [١] .

وسأل (توليسو) ملك مصر الكاهن (تيشوكي) أن يخبره هل كان قبله أحد أعظم منه ، وهل يكون بعده أعظم منه ، فأجابه الكاهن نعم يوجد من هو أعظم منه وهو الله قبل كل شيء ثم الكلمة ومعها روح القدس ، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية فاذهب يا فاني يا صاحب الحياة القصيرة، ولا ريب أن تسمية الأقنوم الثاني من الثالث المقدس كلمة هو من أصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات كالنصرانية ، (وأبولو) المدفون في (دهلي) يدعي الكلمة وفي علم اللاهوت الاسكندري الذي كان يعلمه (بلاتو) قبل المسيح عليه السلام بسنين عديدة في الكلمة هي الإله الثاني ويدعي أيضا ابن الله الأكبر [٢].

ويعلق الشيخ ــ محمد رشيد رضا ــ على تلك النصوص بقوله الذي يظهر لي أن الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى المصريين وأمثالهم من القائلين بمثل قولهم هذا كانوا يقولون لهم ، إن كل شيء خلق بكلمة الله فلما طال عليهم الأمد ومرت إليهم الوثنية ظنوا أن الكلمة ذات تفعل بالإرادة والاختيار فقالوا ما قالوا ،

---

(١) تفسير المنار ـ الشيخ / محمد رشيد رضا ج ٦ ص ٩٠ دار المعرفة ـ بيروت

(٢) نفس المصدر السابق ص ٩١ .

والحق أنها عبارة عن تعلق إرادة الله الواحد الأحد بالشيء الذي يريد خلقه ، ومتى تعلقت إرادته بخلق شيء كان كما أراد " **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** " (١) فلو لم يكن عندنا من إعجاز القرآن إلا بيان هذه الحقيقة التي ضلت بها الأمم من أقدمها كالهنود والمصريين إلى أحدثها قبل الإسلام كالنصارى لكفى في الاستدلال على أنه من عند الله ، فإنه يبين لنا ضلال تلك الأمم والأصل المعقول المقبول الذي يتفق مع التوحيد ، الذي نقل عنهم أجمعين فتجلى ذلك بين الله جميع رسله نقياً من أدران الشرك ونزعات الشياطين (٢) .

وأخيراً نختم حديثنا عن التشابه بين العقائد المصرية القديمة وبين الفكر النصراني فنقول إن النصرانية الحالية كدين ليست بعيدة في أسسها عن العقائد المصرية القديمة ، وهناك تشابه كبير بين الاثنين في كثير من الوجوه (٣) .

ثانياً : التثليث عند البراهمة :

حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود إلى إبراز هذه النتيجة التي تقرب من التوحيد أو تصل إليه ، فقد جمعوا الآلهة في إله واحد ، وقالوا إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته ، وهو الذي يحفظه ثم يهلكه ويرده إليه (٤) .

ويقوم اعتقادهم في هذا الإله على التثليث دون سواه ، ويطلقون على التثليث عندهم اسم (ترى مورتي) أي الثلاثة هيئات أو الثلاثة أقانيم ويسمونها عندهم (براهما ــ وفشنو ــ وسيفا)

---

(١) سورة يس آية رقم : ٨٢ .
(٢) تفسير المنار ـ الشيخ / محمد رشيد رضا ج٦ ص ٩١ .
(٣) المسيحية د / أحمد شلبي ص ١٨٦ .
(٤) أديان الهند الكبرى د / أحمد شلبي ص ٤٦ .

ويقولون إن هذه الأقانيم الثلاثة آله واحد ، ويرمزون إليها بالرمز (اوم) أي الألف والواو والميم وهذا الرمز يقدسونه كما يقدس النصارى الصليب ، وتفصيل هذه الأقانيم هو هكذا براهما ــ وهو الأب الممثل لمباديء التكوين والخلق ــ فشنو ــ وهو الابن ويمثل مباديء الحماية والحفظ ، وهو المنفك والمنقلب عن الحال اللاهوتية، سيفا ــ وهو روح القدس وهو المبديء والمهلك والمبيد والمعيد ، ويرمزون له كالنصارى بصورة حمامة ، ويسمى البرهميون (فشنو) كذلك (كرشنا) ويقولون أنه ولد من العذراء الطاهرة العفيفة (ديناكي) والدة الإله ، ويقولون إن الإله تجسد ليخلص العالم من الخطايا اللاحقة به ، والآثام التي تدخله الجحيم [١] .

ونحن إذا نظرنا إلى برهما اسم الله في اللغة السنسكريتية ، فنجد أنه عبد البراهمة يعنون به الإله الموجود بذاته لا تدركه الحواس ويدركه العقل ، وهو مصدر الكائنات كلها لا حد له ، وهو الأصل الأزلي المستقل الذي منه يستمد العالم وجوده ، وجاء في كتاب (الباجا فاتايورانا) وهو من الكتب الهندية القديمة أن كاهنا توجه إلى الآلهة (برهما وفشنو وسيفا) وسألهم أيكم الإله بحق ؟ فأجابوا جميعا اعلم أيها الكاهن أنه لا يوجد أدنى فارق بيننا نحن الثلاثة ، فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق وحفظ وإعدام ، ولكنه في الحقيقة واحد ، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعا ، أو عبد الواحد الأعلى [٢] .

ويقول الأستاذ ــ محمد رشيد رضا ــ وللهنود تماثيل للوحدة والتثليث رأيت واحدا منها في العباديات التي بنتها الحكومة الهندية

---

(١) المسيح والتثليث د / محمد وصفي ص ١٣٦ .
(٢) أديان الهند الكبرى د / أحمد شلبي ص ٤٨ .

الإنكليزية في ضواحي مدينة (بنارس) المقدسة عند البراهمة ، وهو تمثال واحد له ثلاثة وجوه ، وهو عبارة عن صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد والمقصود منه الرمز للثالوث [١] .

من خلال ما سبق يتضح لنا ــ أن الديانة البرهمية قد استقرت أوضاعها في آخر الأمر على الاعتقاد بتثليث الآلهة وإن كان ثالوثها يختلف عن ثالوث النصارى في نشأة كل أقنوم من أقانيمه وعمله وصفاته وذلك أنها تقرر أن الإله (براهما) كان قبل الوجود وأنه خلق العالم وسمى نفسه بالخالق ثم انبثق منه الإله (سيفا) .

وهو الإله المدمر الموكل بالخراب والفناء ، ولو ترك هذا الإله وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهن ، ولهذا انبثق من براهما إله ثالث حافظ مجدد هو الإله فشينو [٢] .

ثالثاً : التثليث عند اليونانيين :

لقد كان اليونانيون (القدماء الوثنيون) يقولون أن الإله مثلث الأقانيم ، وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات إشارة إلى الثالوث .

ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات ، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاث أصابع ، ويعتقدون بأن الحكماء قد صرحوا أن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة ، ولهم اعتناء تام بهذا العدد (أي التثليث في كافة أحوالهم الدينية) [٣] .

ويعتقدون كذلك أن كل الأشياء عملها الإله الواحد بمثلث

---

(١) تفسير المنار الشيخ محمد رشيد رضا ج٦ ص ٨٩ .

(٢) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١٢٩ .

(٣) التثليث بين الوثنية والمسيحية د / محمود حماية ص ٧٩ .

الأقانيم ولا شك أن اليونانيين الوثنيين اقتبسوا عقيدتهم كذلك من الهنود القدماء وقد ذكر (أورينوس) ثالوث اليونان (واورنيوس) هو أحد شعرائهم وكتابهم الذين عاشوا قبل المسيح بعدة قرون [١].

ولا شك أن عقيدة التثليث ما كانت في أمة من الأمم السابقة من عهد آدم عليه السلام إلى عهد موسى عليه السلام وهوس أهل التثليث بتمسكهم ببعض آيات سفر التكوين لا تخفي علينا ، لأنها في الحقيقة تحريف لمعانيها ، ويكون المعنى على تمسكهم من قبيل كون المعنى في بطن الشاعر ، ولا داعي أنهم لا يتمسكون بزعمهم بآية من آيات السفر المذكور بل ادعى أنه لم يثبت بالنص كون هذه العقيدة لأمة من الأمم السالفة ، وأما أنها ليست بثابتة في الشريعة الموسوية وآمنة فغير محتاج إلى البيان لأن من طالع هذه التوراة المستعملة لا يخفي عليه هذا الأمر وسيدنا يحيي عليه السلام كان إلى آخر عمره شاكاً في المسيح عليه السلام بأنه المسيح الموعود به أم لا ، كما صرح به في الباب الحادي عشر من إنجيل متى بأنه أرسل اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتي أم ننظر آخر فلو كان عيسى عليه السلام إلها يلزم كفره ، إذ الشك في الإله كفر ، وكيف يتصور أنه لا يعرف إلهه وهو نبيه بل هو أفضل الأنبياء بشهادة المسيح وإذا لم يعرف الأفضل مع كونه معاصراً فعدم معرفة الأنبياء الآخرين السابقين على (عيسى) عليه السلام أحق بالاعتبار [٢] .

والواقع أن شأن المسلمات في الدين الصحيح أمور لا يملك العقل أن يستدل عليها من تلقاء نفسه ، ولا يملك في الوقت ذاته دليلا حقيقا بنفيها ثم أنه لا يدعي التسليم بها قبل أن يسلم بالمقدمات

---

(١) المسيح والتثليث د / محمد وصفي ص ١٤٣ .

(٢) إظهار الحق - رحمة الله الهندي ج١ ص ٣٦٠ .

التي توصل إليها عن طريق التفكير والتدبر والتأمل في ملكوت السماوات والأرض أما المسلمات التي فرضتها الكنيسة فرضاً وأرهبت الناس من مناقشتها فهي غير ذلك تماما ، فحيث يتجه العقل والتدبر والتأمل إلى الإيمان بأن الله واحد أحد وأنه لو كان في السماوات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا تقول الكنيسة إن الله ثلاثة ، ثم تزيد الأمر تعقيدا فتقول له إن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ثم تمنعه من المناقشة عن طريق الإرهاب وحيث يتجه العقل بوسائل تفكيره إلى الإيمان بأن الله الذي خلق كل شيء وقدره تقديراً هو في غني عن كل شريك لأنه بيده كل شيء وهو الذي يقول للشيء كن فيكون ومن ثم فهو الجدير بالعبادة وحده تقول له الكنيسة إن هناك شريكا لله هو المسيح (عيسى) بن مريم عليه السلام هو إله مع الله ومعبود كذلك مع الله ثم تمنعه من المناقشة وتتهمه بالمروق من الدين إن خالف الأمر .

وحيث يتجه العقل بمنطقه الذاتي إلى الإيمان بأن الله ليس في حاجة إلى اتخاذ الولد والخلق كلهم خلقه خلقهم بمشيئته وهم عباد له وليس من شأنه سبحانه أن يتخذ ما لا حاجة له إلى اتخاذه ، وهو المهيمن الذي يدبر أمر الوجود كله بمفرده بلا كلفة عليه سبحانه وتعالى ولا جهد ولا حاجة إلى معين .

تقول له الكنيسة إن لله ولدا خلقه بمشيئته كما يخلق كل شيء بمشيئته ثم تبناه سبحانه وتعالى من ذلك علوا كبيرا [1] .

وإذا كانت محاولات النصارى في تصور قضية التثليث قد أجهدتهم وكلفتهم ما لا يطيقون فكيف يستطيعون أن يجعلوا من بدائة العقل ما يحمله على تصديق ما يدعون والاقتناع بما يقولون ، لذلك

---

[1] مذاهب فكرية معاصرة أ / محمد قطب ص ٥١٠ .

لم يحاولوا أن يتجهوا إلى العقل لإثبات قضيتهم من بدء حياته فإن ذلك ليس في قدرة أحد ، إذ ليس في قدرة أحد من البشر جمع النقيضين في قرن والتوفيق بين الأضداد وقضيتهم والبديهات العقلية نقيضان لا يجتمعان [١] .

فلولا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما عرفنا أن المسيح ابن مريم عليه السلام الذي هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلا ، فإن هذا المسيح الذي أثبته اليهود من شرار خلق الله ليس بمسيح الهدى والمسيح الذي أثبته النصارى من أبطل الباطل ولا يمكن وجوده في عقل ولا فطرة ويستحيل أن يدخل الوجود أعظم استحالة ولو صح وجوده لبطلت أدلة العقول ولم يبق لأحد ثقة بمعقول أصلا ، فإن استحالة وجوده فوق استحالة جميع المحاولات ، ولو صح ما تقول لبطل العالم واضمحلت السماوات والأرض وعدمت الملائكة والعرش والكرسى ، ولم يكن هناك بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار [٢] .

لأن الكون لو كان فيه أكثر من إله لفسد ولهلك كل من فيه قال تعالى .

" لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ " [٣].

---

(١) محاضرات في النصرانية ـ الإمام محمد أبو زهرة ص ٩٧ .
(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ـ لابن القيم ص ٢١٥ .
(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٢٢ .

المبحث الثاني

في معنى التثليث عند النصارى ، وكيف انتقلت إليهم هذه العقيدة الفاسدة

أولاً : معنى التثليث عند النصارى :

يعتقد النصارى أن الله عز وجل يشتمل على ثلاثة أقانيم وهي، الله الأب ، والله الابن والله الروح القدس ، فالأب عندهم إله تام والابن إله تام ، والروح القدس إله تام ويقول علماء النصارى إن هؤلاء الثلاثة بالمجموع ليسوا آلهة ، وإنما هم إله واحد وجوهر واحد وذات واحدة بسيطة غير مركبة [١].

ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم ، وسموها الأب والابن والروح القدس ، وإنما العلم تدريج وتجسد دون سائر الاقانيم [٢].

وضربوا مثال على ذلك بالشمس ونارها ونورها وإن هذا الواحد في الطبيعة ثلاثة في الأشخاص المفرقة وقالوا ذلك كالشمس فيما يدرك منها بالحس التي هي شمس واحدة في كمالها وذاتها وثلاثة متغايرة في حالها وحالاتها وصفاتها ، كل واحد منها غير الآخر في شخصه وصفته وإن كان هو في ذاته وطبيعته ، فمن ذلك زعموا ، أن الشمس في عينها كالأب وضوءها فيها كالابن ، وحرها فيها كالروح ، ثم هي بعد ذلك وإن كانت لها هذه العدة فشمس لا يشك فيها أحد واحدة ، لأن الشمس إن فارقها ضوءها لم تدع شمسا،

---

(١) التثليث بين الوثنية والمسيحية د / محمود حماية ص ١ .

(٢) الملل والنحل ـ للشهرستاني ج٢ ص ٢٦ .

وكذلك إن فارقها حرها لم تدع أيضا شمسا ، وإنما تسمى الشمس شمسا وتدعى إذا كان هذا كله فيها مجتمعا [١].

وكذلك الإنسان فإنه وإن كان في الإنسانية واحداً فإنا نراه وترونه أشياء كثيرة عدداً فيها نفسه وجسده وحياته ومنطقه ، فجسده غير نفسانيته ومنطقه غير حياته ، لأنه ليس يقدر أحد أن يزعم أن الحياة وحدها هي المنطق ، ولا أنهما جميعاً واحد متفق ، لأن كثيراً من الأحياء لا يتكلم ولا ينطق ، وقالوا لسنا نريد بالمنطق القول الذي يسمع سمعا ولكن نريد الفكر الذي جعله الله في الإنسان غريزة وطباعاً وفطرة خاصة في الإنسان لا في غيره من الحيوان ، كالحيوان الذي جعل من البهائم وغيرها من ثوابت الأرض وشجرها ، ولو كانت الحياة هي المنطق لكان كل حي من الأشياء ينطق ، فنطق جميع البهائم كما ينطق بنو آدم [٢] .

ويقول النصارى أن الأب والابن والروح القدس قد صاروا في الذات والطبيعة واحدا فردا وفي الأقانيم التي هي الأشخاص ثلاثة عددا فالطبيعة تجمعهم وتوحدهم ، والأقانيم تفرقهم وتعددهم ، فالأب ليس بالابن ، والابن ليس بالروح ، وما قلنا به من هذا فبين مشروح فهم كلهم بالطبيعة والذات واحد ، وهم في الأقانيم ثلاثة روح وابن وأب والد فثالث موجود لا والد ولا مولود [٣] .

من هنا كان التثليث من الموضوعات التي يزل فيها كل نصراني يريد أن يتمسك بها ويعلل لها ، وهذا حديث عن سر الثالوث يقول ما نصه : من الناس من يقولون لم يا ترى إله واحد في ثلاثة أقانيم ؟ أليس في تعدد الأقانيم انتقاص لقدر الله ؟ وأليس من الأفضل

---

(١) الرد على النصارى ـ الإمام أبو القاسم الرسي ص ٣٣ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٤ .
(٣) نفس المصدر السابق ص ٣٥ .

أن يقال الله أحد وحسب ؟ لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث وكنه الله محبة [١] .

ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون الله سعيدا فالمحبة هي مصدر سعادة الله ، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور ، فهي إذن تفترض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما ، كان عليه أن يهب ذاته شخصا آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، ويكون بالتالي صورة ناطقة له ، ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ، ووهبه ذاته ، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وبادل الابن الأب هذه المحبة ، ووجد فيه هو أيضا سعادته ومنتهى رغباته ، وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس هو الحب إذا يجعل الله ثالوثا وواحدا معاً [٢] .

ولهذا يجمع النصارى في القول بين الوحدانية والتثليث ، ولعل الذي يدفعهم إلى ذلك هو اعتبار التوراة كتابا مقدسا عندهم وهي تصرح بالتوحيد وتدعو إليه وتحث عليه وتنهي عن الشرك بكل شعبه وكل أحواله وتدعوا إلى البراءة من المشركين أينما كانوا وحيثما ثقفوا .

فهم يجتهدون أولاً في أن يستنبطوا من نصوصها ما يحملونه على الإشارة إلى التثليث كعبارة (كلمة الله) أو كعبارة (روح القدس) .

وثانياً : يحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوحدانية لتلتقي التوراة مع الإنجيل فيقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم

---

(١) رسالة يوحنا الأولى الإصحاح ٤ فقرة ٤ ـ ١٦ .
(٢) المسيحية د / أحمد شلبي ص ١٤٦ .

معنى التوحيد وإن كان هو أيضا لا يحتمل ذلك ، ولعل ذلك تتميم للفلسفة الرومانية التي كانت تحاول الجمع بين مسيحية المسيح عليه السلام ووثنية الرومان وتوراة اليهود بما تحمل من وحدانية ظاهرة لا شبه فيها إلا التجسيد أو ما يوهمه في بعض عباراتها [١] .

ولكن كيف يوفق النصارى بين وحدانية الله وكونه في ثلاثة أقانيم أو بتعبير آخر كيف يكون الأب إلها والابن إلها والروح القدس إلها .

الثلاثة متساوون في الأزلية والأبدية والمجد والقدرة وجميع الكمالات الإلهية ومع ذلك فالثلاثة واحد ذات بسيطة غير مركبة وجوهر واحد لا يتعدد .

أن العقل والفطرة يقولون ١ + ١ + ١ = ٣

ولكن النصارى يقولون ١ +١ + ١ = ١ [٢].

وليس للنصارى دليل على التثليث يستطيعون أن يظهروه مطلقا فقد فرض عليهم بواسطة مجمع نيقية ، وليس لديهم في الأناجيل ما يدل على التوحيد الخالص الحقيقي ولكن هناك قول في إنجيل (يوحنا) يتخذونه دليلا على التثليث وهو قوله (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد ، والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم ، والثلاثة هم في الواحد) ، ولكن هل تجد هناك ثمة انسجام في هذا القول ؟ [٣] .

بل انظر إلى تفكك المعنى وتباين المرمى ، وانظر إلى العلاقة

---

(١) محاضرات في النصرانية ـ الإمام محمد أبو زهرة ص ٩٥ .
(٢) التثليث بين الوثنية والمسيحية د / محمود حماية ص ٢ .
(٣) رسالة يوحنا الأولى ـ الإصحاح الخامس ٥ : ٧ .

المعدومة بين هؤلاء الشهداء في السماء وهؤلاء الشهداء في الأرض .

إن الفقرة التي تشير إلى التثليث في الكلام السابق يشهد بتحريفها علماؤهم المشهورون ، وإن جمهور علماء (البروتستانت) يقولون إن هذه الجملة في السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد ، والذين يشهدون في الأرض الحاقية محرفة، ويشهد بذلك (هورن) وهو العالم النصراني المشهور بتعصبه الديني ، كما يشهد بتحريفها (اكستاين) أعظم علماء أهل التثليث في القرن الرابع للميلاد [١].

ولذلك لم ينتبه المسلمون إلى الدليل الكتابي الدال على أصل كل أقنوم إلى اليوم الذي ظهر فيه كتاب أقانيم النصارى ، ولو أنهم انتبهوا إلى الدليل الكتابي لأصل كل أقنوم لاختلف جدالهم مع النصارى وألزموهم بفساد النصرانية بكلام يسير ، والذين أسلموا من النصارى وهم من الراسخين في العلم لم يؤثر عنهم إبراز الأدلة ، إما لأنهم لم ينتبهوا إليها ، وإما لأنهم انشغلوا بالطعام والشراب ليعيشوا بكرامة مع المسلمين وذلك لأن المسلمين لا يقطعون مالاً للذين يسلمون ، أما أقنوم الأب فهو الله عز وجل والدليل الكتابي عليه من التوراة والإنجيل هو " اسمع يا سرائيل الرب إلهاً رب واحدة " [٢] .

ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا " أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي [٣] .

---

(١) المسيح والتثليث د / محمد وصفي ص ١٠٦ .
(٢) انظر سفر التثنية ٦ : ٤ وإنجيل مرقس ١٢ ـ ٢٩ وإنجيل لوقا ١٠ ـ ١٧ .
(٣) انظر سفر الخروج إصحاح ٢٠ فقرة ٢١ .

أما أقنوم الأب فهو في الأصل سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم رسول الله نبي الإسلام ، ولما حرف النصارى معاني نبوءات التوراة والأناجيل لتصدق على عيسى ولا تصدق على سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم كان من النبوءات التي حرفوا معانيها نبوءة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلقب ابن الله في المزمور الثاني ، وقالوا إن الدليل الكتابي على أقنوم الابن هو نبوءة المزمور الثاني لداود عليه السلام ، وليس من دليل عندهم غير نبوءة المزمور الثاني على أقنوم الابن ، وكان يجب على المسلمين في البدء سؤال عن الدليل الكتابي لاقنوم الابن لينظروا في الأوصاف التي هي فيه ، هل هي تتفق على (عيسى) أم لا ؟ وهل ينطبق عليه نبي من أنبياء الله أم كإله معادل لله ؟ أم هو الله نفسه ظهر في صورة بشر ؛ وإذا عرفوا أن الدليل الكتابي هو نبوءة عن النبي الأمي الآتي على مثال موسى عليه السلام فإنهم سيضعونه على صاحبه وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه هو النبي الأمي الآتي على مثال سيدنا موسى عليه السلام ، وبذلك ينتهي التثليث ولا يعود إلى الظهور [1] .

أما الطريقة الأخرى التي يسلكها النصارى في الرد على تناقض عقيدة التوحيد والتثليث فإنهم يلجأون إلى التفويض والتسليم، فيقولون إن توحيد الثلاثة وتثليث الواحد سر مكنون لا يخضع لفهم ولا يدخل في مجال العقل ، لأن العقل قاصر عن فهمها، والناس مطالبون بالإيمان بها دون بحث عن كنهها وحقيقتها ، فقالوا إن التثليث فوق عقولنا ، والله لم يشأ تكشفه لنا ، ولما كان بحق الله أن يعلن تعليما دون أن يبينه بالتفصيل ، وكان يجب علينا أن نعقل ذلك

---

(١) الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل لحجة الإسلام / أبي حامد الغزالي ص ١٨ .

منه بالتواضع والإيمان القلبي ، وجب أن نقبل تعلم التثليث كذلك كما نقبل تعلم الوحدانية دون محاولة تفسير كيفيته بالتفصيل ، أما إدراك حقيقة هذا الموضوع والاطلاع على غوامضه ، والتمكن من إيضاحه فلا تتم إلا بواسطة النور السماوي الذي يشرق على عقولنا المظلمة بنعمة الله أمام الحضرة الإلهية في الدهر العتيد [١] .

ولكن هذا الكلام لا يقره الدين ، لأن الإيمان بالله أصل من أصول العقيدة لا تتم النجاة إلا به ، ولذلك يجب أن يكون واضحا بيننا حتى تقوم الحجة على الناس ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينه [٢] .

ثانياً : كيفية انتقال عقيدة التثليث إلى النصارى :

إن المتأمل في تاريخ النصرانية يجد أن العقيدة النصرانية الحالية من وضع البشر ، وليست من عند الله تعالى ، بل بعدت الشقة بينها وبين أساسها الأول الذي أنزل على (عيسى) عليه السلام .

إذ من الثابت تاريخيا أن التثليث طرأ على النصرانية بعد رفع المسيخ عليه السلام بزمن طويل ، ولم يطرأ عليها دفعة واحدة بل على مراحل ، مما يؤكد بشرية هذه الديانة ، وقد وجد من النصارى الحقيقيين الذين يدينون بالتوحيد من يقاوم هذا الاتجاه وتعرض للاضطهاد والتعذيب من السلطة الحاكمة في ذلك الوقت والتي استطاعت أن تفرض عقيدة التثليث بقوة التنكيل والبطش [٣] .

فقد لبث النصارى أكثر من ثلاثة قرون وليس لهم كتاب

---

(١) التثليث بين الوثنية والمسيحية د / محمود حماية ص ٧ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٨ .
(٣) دراسات في العقيدة في ضوء العقل والعلم د / أحمد محمد سليمان ص ٤١

يسيرون عليه ، وليس لديهم نظام ديني خاص يتبعونه ، ولم يبدأ النصارى في جمع شامل أنفسهم إلا في أوائل القرن الرابع من الميلاد [١].

ونحن إذا نظرنا إلى عقيدة التثليث عند النصارى فنجد أن هذه العقيدة الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وذلك أن (أفلوطين) زعيم مدرسة الإسكندرية وهي المدرسة التي تنسب إليها الفلسفة الافلاطونية الحديثة (وهو من رجال القرن الثالث الميلادي ولد سنة ٢٠٥ م وتوفى سنة ٢٧٠م) كان يرى فيما يتعلق بالكون ومنشئه أن الله هو منشيء الأشياء لا يتصف بوصف من أوصاف الحوادث ، فليس بجوهر ولا عرض ، وليس فكرا كفكرنا، ولا إرادة كإرادتنا ، يتصف بكل كمال يليق به ، ويفيض على نعمة الأشياء كل الوجود ، ولا يحتاج هو إلى موجد ، وأن أول شيء صدر عن هذا المنشيء هو العقل ، وقد صدر عنه كأنه يتولد منه ، ولهذا العقل قوة الإنتاج ، ولكن ليس كمن يولد عنه ، ومن العقل انبثق الروح التي هي وحدة الأرواح وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ، وفيه يتولد كل شيء [٢] .

فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة وعقيدة التثليث التي استقرت عليها النصرانية من جهة أخرى .

وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشرا ومعروفا قبل مجمع نيقية بأمد طويل ، وأنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية وأن بطريرك الإسكندرية الذي نشأ في البيئة التي ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية ،

---

(١) المسيح والتثليث د / محمد وصفي ص ١١٦ .

(٢) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١٢٩

وفي المجمع القسطنطيني الأول إذا لاحظنا هذا كله نرجح الاحتمال الذي ذكرناه ، وهو أنه يظهر أن العقيدة النصرانية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالأفلاطونية الحديثة [١].

من هنا نقول أن التثليث بالشكل الذي يعتقده جماهير النصارى أو الكثرة الغالبة منهم لم يعلن للناس دفعة واحدة بل في أزمنة متفاوتة ومختلفة ، وكان بإعلان المجامع التي كانت تعقد من الأساقفة ، وفيها يقرر المجمع رأيا معيناً [٢].

ولذلك فإن تعليم الكنيسة قد قرر المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥م ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م وقد حكما بأن الابن والروح القدس مساويان للأب في وحدة اللاهوت ، وأن الابن قد ولد منذ الأزل من الأب ، وأن الروح القدس ينبثق من الأب ومجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٩م حكم بأن الروح القدس ينبثق من الابن أيضا .

وقد قبلت الكنيسة اللاتينية بأسرها هذه الزيادة وتمسكت بها، وأما الكنيسة اليونانية فمع أنها كانت في أول الأمر ساكنة لا تقاوم قد أقامت الحجة فيما بعد على تغيير القانون حاسمة ذلك بدعة [٣] .

ولكنهم بعد ذلك اختلفوا في الأقانيم فمنهم من يقول إنها خواص وبعضهم يقول صفات وبعضهم يقول أشخاص ، وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الإله جوهراً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التميز بمكان والتحرك والسكون والأوان [٤] .

وبناءً على ذلك ــ أصبحت النصرانية الظاهرة في مجمع

---

(١) نفس المصدر السابق والصفحة .
(٢) محاضرات في النصرانية الإمام محمد أبو زهرة ص ١١٠ .
(٣) قصص الأنبياء ـ عبد الوهاب النجار ص ٥٤٣ .
(٤) تلبيس إبليس ـ لأبي الفرج الجوزي ص ٧٤ .

نيقية هي العقيدة الرسمية في أعظم إمبراطورية في العالم مخالفة كل المخالفة لنصرانية النصارى في الجليل [١].

ولعل الأسس التي أدت إلى ذلك التثليث هي ما يدور في أناجيلهم ومن ذلك ما رواه (متى) عن الله " هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت " [٢] وكذلك أعمال الرسل قال الحفني الحبشي " أنا أومن أن يسوع المسيح هو ابن الله [٣] .

ومن ثم نقول " إن الاعتقاد بألوهية المسيح سبقت كتابة الأناجيل فالاعتماد على الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح عليه السلام عمل بعيد عن الصواب .

وإن صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل ، وإن هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية الميتافيزيقية التي كانت ذات سيطرة وكانت آراؤها شائعة وتكاد تكون عامة أو عالمية [٤] .

هذا ما ذكره النصارى في كتابهم يحتجون به على ما يعتقدون من الأقانيم الثلاثة قائلين إن تسمية الله أنه أب وابن وروح قدس أسماء لم نسمه نحن النصارى بها من ذات أنفسنا بل الله سمي لاهوته بها [٥] .

وعلى الرغم من أن النصرانية مليئة بالتناقضات العجيبة إلا أن كثيراً من النصارى يجهلون هذه التناقضات والأمور غير المعقولة أو التي لا تتفق مع العلم الحديث وهم يصابون بالذهول عندما

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة ـ محمد قطب ص ١١ .
(٢) إنجيل متى إصحاح ٣ فقرة ١٧ .
(٣) سفر أعمال الرسل إصحاح ٨ فقرة ٣٧ .
(٤) المسيحية الحقة كما جاء بها المسيح عليه السلام / علاء أبو بكر ص ١٣٣
(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ لابن تيمية ج١ ص ٤٤٨ .

يكتشفون هذا فقد ظلوا دائما متأثرين بقراءة التعليقات التي تعطي توضيحات دقيقة تطمئنهم وتعين في ذلك الغنائية المديحية ، والواقع أن فقرات الأناجيل التي اعترف بعدم صحتها نادرة جداً ومع ذلك أعلنت الكنيسة بقانونيتها [١].

وهكذا دخلت الوثنية والشرك النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية ، ولم يكونوا يحتفلون بأمر الدين ولم يخلصوا له يوما من الأيام .

وكذلك كان (قسطنطين) فقد قضي عمره في الظلم والفجور، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة إلا قليلا في آخر عمره سنة ٣٣٧م .

أما الجماعة النصرانية وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث ولدت (قسطنطين) الملك ، ولكنها لم تمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقطع جرثومتها ، وكان يتجه بكفاحها أن اختلطت مبادئها ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية. سواء بسواء .

هنالك يختلف الإسلام عن النصرانية إذ قضي الإسلام على منافسه الوثنية قضاء باتا ونشر عقائده خالصة بغير غش ، وإن الإمبراطور الذي كان عبدا للدنيا والذي لم تكن عقائده الدينية تساوي شيئا رأي لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبين المتنافسين النصراني والوثني أن يوحدهما ويؤلف بينهما .

حتى أن النصارى الراسخين أيضا لم ينكروا عليه هذه الخطة، ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة ستزدهر إذا طمست

---

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة د / موريس بوكاي ص ١٣٠ .

ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة ، وسيخلص الدين النصراني عاقبة الأمر من أدناس الوثنية وأرجساها [١] .

ومهما يكن من أمر ، فالذي يقترب من النصارى ويناقشهم يجد أنهم لا يستطيعون فهم عقيدة التثليث ، وإن الواعين منهم يعيشون في صراع بين عقولهم وما ورثوه من معتقدات عن آبائهم ، وما على النصراني إلا أن يروض عقله على قبول تلك العقائد فإذا لم يفلح في ذلك وهيهات ــ فإن عليه أن يلغي عقله ولا يلغي عقيدة الآباء وتراث الأجداد وتعاليم القسس والرهبان [٢].

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ أبو الحسن النووي ص ١٥٠ .

(٢) التثليث بين الوثنية والمسيحية د / محمود حماية ص ١٢ .

المبحث الثالث

في المراحل التي مرت بها العقيدة عند النصارى

لقد مرت العقيدة عند النصارى بمرحلتين أساسيتين

المرحلة الأولى :

من بعثة السيد المسيح عليه السلام إلى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م .

المرحلة الثانية :

من مجمع نيقية إلى الوقت الحاضر .

المرحلة الأولى :

وهي التي بدأت من بعثة المسيح عليه السلام وانتهت عندما عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وكانت النصرانية في فاتحة هذه المرحلة كما يثبت القرآن الكريم ــ ديانة توحيد خالص تدعو إلى عبادة إله واحد وتقرر أن المسيح إنسان من البشر أرسله الله تعالى بدين جديد وشريعة جديدة ، كما أرسل رسلا من قبله وإن الارهاصات التي سبقت بعثته والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد رسالته هي من نوع الارهاصات والمعجزات التي يؤيد الله تعالى بها رسله وإن خلقه بدون أب ليس إلا إرهاصا من هذه الارهاصات ، وإن أمه صديقه من البشر قد كرمها الله فنفخ فيها من روحه فحملت بالمسيح عليه السلام ، ولكن لم تمضي بضع سنين على رفع المسيح عليه السلام حتى أخذت مظاهر الشرك والزيغ والانحراف تتسرب إلى معتقدات بعض الفرق النصرانية ، وافدة إليها أحيانا من فلسفات قديمة ، وأحيانا من رواسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد

التي انتشرت فيها النصرانية والتي احتك أهلها بالنصارى .

فانقسم حينئذ النصارى إلى طائفتين طائفة جنحت عقائدها إلى الشرك بالله وطائفة ظلت عقائدها محافظة على التوحيد وتضم كل طائفة من هاتين الطائفتين تحت لوائها فرقا كثيرة .

فمن أهم الفرق التي انحرفت عقائدها في هذه المرحلة فرقة المرقيون ، وفرقة البربرانية ، وفرقة الالياتية ، وفرقة التثليث [١].

١ ـ فرقة المرقيون :

دخلت هذه الفرقة على النصارى الموحدين بالأوهام وبرزت بينهم كما تبرز رؤوس الشياطين وسط أرض قد كسيت بالسندس الأخضر من الزرع ، وجاءت على نحل مختلفة ، وأهواء متباينة ، ونزعات متضاربة وبأسماء كثيرة ، فمنهم من كان يقول أن هناك آلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهما ، وهم أتباع مرقيون ، ولعل هذه النحلة من آثار المجوس لأنهم هم الذين يقولون بإله الخير وإله الشر ، ولقد قال ابن البطريق في هذه النحلة وأصحابها ، وزعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين وأنكروا بطرس فالمنتحلون لهذه النحلة يزعمون أن مرقيون داعيتها والمنادي بها حواري من حواري (عيسى) عليه السلام ، بل هو كبير الحواريين وشيخهم والمقدم فيهم [٢] .

وعلى الرغم من الحرب الشعواء التي شنتها الكنيسة على هذا المذهب ، فإنه قد انتشر وتبعه خلق كثير في إيطاليا وأفريقية ومصر وظل كذلك حتى منتصف القرن الثالث الميلادي ، أي حتى

---

(١) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١٢٠

(٢) محاضرات في النصرانية الإمام محمد أبو زهرة ص ١٤٠ .

انتهاء المرحلة التي نتحدث عنها ، ولكنه لم ينقرض انقراضا تاما إلا في حوالي القرن العاشر الميلادي [١] .

٢ ـ فرقة البربرانية :

وهؤلاء يقولون بأن المسيح وأمه عليهما السلام إلهان ولعل هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى مبينا ما يكون بينه سبحانه وتعالى وعيسى عليه السلام من قول يوم القيامة قال تعالى : " **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** " [٢] .

ولعل فريقا منهم كان موجودا عند نزول القرآن الكريم [٣].

ويرد عليهم بقوله تعالى : " **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ** " [٤].

وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض كذلك في نهاية المرحلة التي نتحدث عنها ، وإن كان يبدو من ذكرها في القرآن أنه كان لا يزال لمذهبها أتباع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في

---

(١) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١٢٢ .

(٢) سورة المائدة ـ الآيات ١١٦ ـ ١١٨ .

(٣) محاضرات في النصرانية الإمام محمد أبو زهرة ص ١٤١ .

(٤) سورة المائدة آية رقم : ٧٥ .

القرن السابع الميلادي ، ومهما يكن من شيء فإن الاتجاه إلى تقديس السيدة مريم عليها السلام قد ترك آثارا ورواسب كثيرة في معظم الفرق النصرانية الباقية وتتمثل هذه الآثار والرواسب في عدة معتقدات وطقوس وأعياد خاصة بالسيدة (مريم) عليها السلام تعتنقها وتقيمها جميع فرق النصارى في الوقت الحاضر باستثناء فرقة البروتستانت [١] .

٣ ـ فرقة الاليانية :

وهؤلاء كانوا يقولون بأن السيدة (مريم) عليها السلام لم تحمل لتسعة أشهر ، وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها [٢] .

وما ظهر بها شخص المسيح عليه السلام في الأيمن فهو كالخيال في المرآة ، وإلا فما كان جسما متجسما كثيفا في الحقيقة .

وكذلك القتل والصلب إنما وقع على الخيال والظن ، وقالوا إنما صلب الإله من أجلنا حتى يخلصنا وزعم بعضهم أن الكلمة كانت بداخل في جسيم المسيح عليه السلام أحيانا فتصدر عنه الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص وتفارقه في بعض الأوقات فترد عليه الآلام والأوجاع [٣] .

وأوشكت هذه الفرقة على الانقراض في نهاية المرحلة التي نتحدث عنها ، ولا يزال لهذه الفرقة اتباع حتى القرن السادس

---

(١) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١٢٢ .

(٢) هداية الحباري في أجوبة اليهود والنصارى ـ لابن القيم الجوزية ص ٢٢٥

(٣) الملل والنحل ـ للشهرستاني ج٢ ص ٣٢ .

الهجري والثالث عشر الميلادي [١] .

٤ ـ فرقة التثليث وألوهية المسيح :

وهي الفرقة التي تذهب إلى أن الإله ثلاثة أقانيم وهي الأب والابن والروح القدس ، وأن الابن أو الكلمة هو المسيح ، وكانت كنيسة الإسكندرية من أشد الكنائس بغضا لهذا المذهب الذي أصبح المذهب الرسمي المقرر لجميع الفرق النصرانية بعد مجمع نيقية ٣٢٥م ومجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م [٢] .

وأهم الفرق التي ظهرت عقائدها محافظة على التوحيد فرقة ابيون وفرقة بولس الشمشاطي ، وفرقة أريوس .

١ ـ فرقة أبيون :

وهذه الفرقة كانت تقر جميع شرائع سيدنا موسى عليه السلام وتعتبر سيدنا عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم ، وتنكر ألوهية المسيح عليه السلام ، وتعتبره مجرد بشر رسول ، وكان لهذه الفرقة إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية .

وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في أواخر المرحلة التي نتحدث عنها ، وتم انقراضها في أواخر القرن الرابع الميلادي[٣]

٢ ـ فرقة بولس الشمشاطي :

ومن الموحدين الذي ظهروا في هذه المرحلة أصحاب بولس

---

(١) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١٢٢ .

(٢) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١٢٣ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ١٢٤ .

الشمشاطي ، وكان بطريقا بإنطاكية وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح. وأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام خلقه الله في بطن أنثى من غير ذكر وإنه إنسان لا إلهية فيه ، وكان يقول لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس ، وقد عقد بإنطاكية من سنة ٢٦٤م إلى سنة ٢٦٩ م ثلاثة مجامع للنظر في شأنه وانتهى الأمر بحرمانه وطرده وقد بقي لمذهبه أتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادي [١].

٣ - فرقة أريوس :

لقد كان أريوس قسيسا بالإسكندرية ، وكان يقول بالتوحيد المجرد وإن عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، وإنه كلمة الله تعالى التي خلق بها السماوات والأرض [٢].

وأنكر جميع ما جاء في الأناجيل من العبارات التي توهم ألوهية المسيح عليه السلام ، ويلخص ابن البطريق مذهبه فيقول كان يقول إن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب حينما لم يدخل الابن ، وقد كانت أسيوط على هذا الرأي ، ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقص عدد أتباعه بعد أن حكم مجمع نيقية سنة ٣٢٥م بطرد أريوس وكفره وأصدر قراراً بألوهية المسيح عليه السلام [٣].

---

(١) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١٢٤ .

(٢) محاضرات في النصرانية - الإمام محمد أبو زهرة ص ١٣٨ .

(٣) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١٢٥ .

المرحلة الثانية التي مرت بها العقيدة عند النصارى :

وهى التي بدأت منذ انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وما زالت مستمرة إلى الوقت الحاضر ، فعندما عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م كان عقده رداً على الوحدانية التي تزعم (أريوس) القول بها ، ويعد مؤتمر نيقية من أهم المجامع النصرانية ، لأنه اتخذت فيه أخطر القرارات وكان عقده بأمر الإمبراطور (قسطنطين الكبير) وقد حضره من الآباء الروحانيين ٢٠٤٨ وأن الخلاف اشتد بينهم حول القول بألوهية المسيح ووصل الخلاف إلى المعارك ، وتبنت الأغلبية الساحقة رأي (أريوس) فأصدر الإمبراطور قراره بفض الاجتماع ، ثم أعيد عقد الاجتماع عقب ذلك ولم يحضره إلا الأعضاء القائلون بالتثليث وألوهية المسيح عليه السلام وكان عددهم ٣١٨ وحضر الإمبراطور نفسه [١] .

وانتهوا إلى عدة قرارات ، كان من أهمها القرار الخاص بإثبات ألوهية المسيح عليه السلام وتكفير (أريوس) وحرمانه وطرده ، وتكفير كل من يذهب إلى أن المسيح إنسان ، وتحريف جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح ، وتحريم قراءتها ، وكان من أشد أنصار هذا القرار والداعين له بطريرك الإسكندرية ، ويذكر ابن البطريق نص هذا القرار في العبارة الآتية " إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحكم بالحرمان والطرد على كل قائل بوجود زمن لم يوجد قبل أن يولد وأنه وجد من لا شيء أو من يقول الابن وجد من مادة أو جوهر غير الله والأب وكل من يقر أنه خلق أو من يقول أنه قابل للتغير " [٢] .

---

(١) المسيحية د / أحمد شلبي ص ٢٠٨ .

(٢) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١٢٥ .

ولم يتعرض مجمع نيقية للعنصر الثالث من عناصر الألوهية في العقيدة النصرانية الحاضرة وهو روح القدس ، ولم يبين حقيقة أهو إله أم مخلوق ، ومن ثم نشب خلاف كبير بين النصارى حول هذا الموضوع ، وظهرت فرق تقول بأن روح القدس ليس بإله وإنما هو محدث مخلوق .

وكان من أشهر هذه الفرق فرقة مقدونيوس [١]. وهذه الفرقة أنكرت أن يكون روح القدس إلها ، وقاومت ما ترمى إليه الكنيسة العامة من فرض تلك الألوهية ودعوة الناس وحثهم على اعتناقها .

ولعل (مقدونيوس) هذا كان من الموحدين الذين لا يزالون يعتنقون التوحيد ، ويتابعون في ذلك (ازيوس) وسائر الموحدين وإن كانت الغلبة لغيرهم ، فها له أن يبدأ الأساقفة بتأليه المسيح ويثنون بتأليه الروح القدس فجاهر بإنكار الثاني ، لأنه لم يعد في قوس الصبر منزع يقول ابن البطريق ـ وفي عشر سنين من ملك قسطنطين بن قسطنطين الثاني صير (مقدونيوس) بطريركا على القسطنطينية ، وكان يقول إن روح القدس مخلوق وأقام عشر سنين ومات ، لكن مقالته لم تمت بموته ، بل كان له أشياع وأتباع وخصوصا من بين الموحدين الذين لم يزولوا من المملكة الرومانية وإن أصبحوا في الجملة لا سلطان لهم [٢] .

فاجتمع من أجل ذلك في القسطنطينية سنة ٣٨١م مجمع آخر اشتهر باسم المجمع القسطنطيني الأول وكان عدد أعضائه مائة وخمسين أسقفا ، وانتهى المجمع بإقرار الرأي القائل بألوهية روح

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٢٦ .

(٢) محاضرات في النصرانية ـ الإمام محمد أبو زهرة ص ١٤٣ .

القدس وكانت كنيسة الإسكندرية من أشد الكنائس تعصبا لهذا الرأي، كما كانت من أشدها تعصبا للرأي القائل بألوهية المسيح ،ولذلك كان لأقوال بطريرك الإسكندرية والحجج التي أدلى بها في هذا المجمع أثر كبير في توجيه هذا القرار .

ويصف ذلك ابن البطريق فيقول . قال (تيموثاوس) بطريرك الإسكندرية في هذا المجمع ، ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ، وليس روح الله شيئا غير حياته ، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن روح الله مخلوق ، وإذا قلنا إن روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقه فقد زعمنا أنه غير حي ، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا ، ومن كفر به وجب عليه اللعن واتفقوا على لعن (مكدونيوس) فلعنوه هو وأشياعه ، ولعنوا البطارقة الذين يكونون بعده ويقولون بمقالته [1].

وبناء على هذه المجامع ، تقرر التثليث في الديانة النصرانية وأصبحت هي العقيدة الرسمية التي يجب أن يعتنقها كل نصراني ويحكم بكفر من يقول بغيرها ، وأخذت المذاهب النصرانية الأخرى التي كانت منتشرة عند بعض الفرق النصرانية في المرحلة الأولى تتلاشى شيئا فشيئا ، ويتضاءل عدد أتباعها حتى انقرضت كل الانقراض .

سواء في ذلك مذاهب الفرق التي كانت محافظة على التوحيد، أم مذاهب الفرق التي انحرفت عن التوحيد إلى عقائد أخرى غير عقيدة التثليث ، ولا نجد الآن أية كنيسة نصرانية ، ولا أية فرقة من فرق النصارى لا تقول بالتثليث ، ولكنهم جميعا مع ذلك يتسترون

---

(1) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١٢٦ .

وراء كلمات التوحيد فيقولون تثليث في وحدية أو وحدية في تثليث مع أنه لا يمكن أن يكون التثليث وحدانية ولا الوحدانية تثليث [١].

وهكذا نجد المغالبة قوية بين التوحد وألوهية المسيح ، الأولى تغالب بالكثرة وقوة الإيمان وسعة الحيلة ، والثانية تغالب بقوة السلطان وبقايا الوثنية ، والذين كانوا متأثرين بها ووجدوا مواءمة بينها وبين ما يألفون ، فابتغوها لقربها مما ألفوا وعرفوا وأمكنته التقاليد من نفوسهم ، ولكن قوة السلطان طمست نور المذهب الأول، إذ أنها احتاطت فجعلت كل الأساقفة ممن لم يكونوا موحدين ، واحتاطت أشد الاحتياط في ذلك وأخذ أولئك يسيطرون على قلوب العامة بالرؤى والأحلام والهامات يزعمونها حتى اختفى المذهب الحق في لجة التاريخ ، ولم يبد على السطح إلا ألوهية المسيح عليه السلام [٢].

ومن أجل أن هذه المسلمات المزعومة لا يمكن للعقل التسليم بها فقد حظرت الكنيسة على العقل أن يفكر فيها أو يناقشها ، وفهمت الناس أن التفكير فيها مناف للإيمان وأن الموقف الصحيح للمؤمن هو التسليم بها بغير جدال ، وتفويض الأمر لا لله بل لقداسة البابا ومن حوله من كبار رجال الدين ، وفي ظل الإرهاب الفكري الذي مارسته الكنيسة انكمش نشاط العقل الأوربي وانحصر في التسليم بما غلبه الكنيسة والمجامع المقدسة ، ومحاولة التوفيق بينه وبين مقتضيات التفكير السليم في مغالطة فلسفية هي أقرب إلى التلفيق منها إلى التوفيق [٣] .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٢٨ .

(٢) محاضرات في النصرانية ـ الإمام محمد أبو زهرة ص ١٢١ .

(٣) مذاهب فكرية معاصرة أ / محمد قطب ص ٥١١ .

والذي أوقع النصرانية في هذا التناقض الذي جعلها تتخذ من العقل البشري عدواً لها تخشاه وتحذره هو أنها من صنع الخيال الإنساني ، ومن صنع مجموعة من البشر محدودي الفكر والأفق ، ولو أنها اتفقت على العقيدة الصحيحة التي أنزلت على نبي الله عيسى عليه السلام لما تردت في هذا المأزق الصعب ، لأنها عقيدة التوحيد الذي فطر الله الناس عليه وهو دين الإسلام [١] .

قال تعالى : " فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " [٢]

---

(١) دراسات في العقيدة في ضوء العقل والعلم د / أحمد سليمان ص ٤٥ .

(٢) سورة الروم من الآية رقم : ٣٠ .

المبحث الرابع

بولس وأثره على العقيدة النصرانية

لقد كان لبولس الأثر الكبير في تغيير مجرى النصرانية حيث نقلها من عقيدة توحيد خالص إلى عقيدة شرك مطلق ولكن قبل أن نتحدث عن أثر بولس على العقيدة النصرانية نريد أن نعطي فكرة عامة عن حياته فنقول وبالله التوفيق : ــ

١ ـ مولد بولس ونشأته :

اسمه شاؤول ولد في مدينة طرسوس بتركيا القديمة درس اللغة العبرية في شبابه ، وتلقى علومه في القدس ، وكان يتاجر في الخيام وعندما ذهب إلى القدس تتلمذ على يد الحاخام (جماليل) [١].

٢ ـ أصل بولس :

لقد كان بولس مجهول الأصل فتارة يدعي أنه يهودي طرطوسي (أعمال الرسل ٢١ ــ ٣٩) وتارة يصرح في المجمع قائلا أنه فريسي ابن فاريسي (أعمال الرسل ٢٣ ــ ٢٦) وتارة أخرى يقول أنه رجل روماني (أعمال الرسل ٢٢ ــ ٢٥) وذلك على الرغم من معرفة رجال الحكومة له وقتئذ باعتباره أنه مصري (أعمال الرسل ٢١ ــ ٣٨) .

ولعلك تعجب من ذلك وتأخذك الدهشة من هذه الاختلافات ، ولكن سأبين لك كيف يلبس بولس لكل حال لبوسها ، وكيف يغير جنسيته في المناسبات ، فقوله أنه يهودي طرطوس كان حين خطب

---

(١) الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليف العالم الأمريكي مايكل هارت ترجمة أنيس منصور ص ٣٥ .

اليهود يوم القبض عليه حتى يكسب عطفهم بقوله أنه نشأ وتربى يهوديا مثلهم وإن ذلك قوله لهم ، أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيلكية ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عن رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي [١] .

وأما ادعاؤه خلاف ذلك أنه فريس ابن فريسي فهو ما ذكره أعمال الرسل ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون والآخر فريسون صرح في المجمع أيها الرجال الأخوة أنا فريس ابن فريسي [٢] .

وأما ادعاؤه أنه روماني فذلك ليخلص نفسه من الجنود الرومانية التي قبضت عليه وبينه ما جاء في أعمال الرسل " فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف أيجوز لهم أن يجلدوا إنسانا رومانيا غير مقتضى عليه " [٣] .

فهذه النصوص تدل دلالة واضحة على أن بولس ليس له شخصية معينة وليس له أصل ثابت فهو يتغير ويتلون حسب المكان الذي يعيش فيه وحسب الأشخاص الذين يكون معهم ، وهذا شأن المنافقين والضالين [٤].

٣ ـ صفات بولس :

إن الذي يستخلص من أحوال وأقوال (بولس) التي دونت في رسائله وأعماله التي ذكرها سفر أعمال الرسل ، يتبين له أنه امتاز بثلاث صفات جعلته في الذروة من الدعاة إلى المباديء

---

(١) سفر أعمال الرسل ـ الإصحاح ٢٢ ـ فقرة رقم ٣ .
(٢) سفر أعمال الرسل ـ الإصحاح ٢٣ ـ فقرة رقم ٦ .
(٣) سفر أعمال الرسل ـ الإصحاح ٢٢ ـ فقرة رقم ٢٥ .
(٤) المسيح والتثليث د / محمد وصفي ص ٤٩ .

والعقائد .

الصفة الأولى : أنه كان نشيطا دائم الحركة ذا قوى لا شكل لها وذا نفس لا تمل .

الصفة الثانية : أنه كان ألمعيا شديد الذكاء بارع الحيلة ، قوى الفكر ، يدير الأمور كما يريد بدهاء الألمعي ، وذكاء الأروعي، يسدد السهام لغاياته ومآربه فيصبها .

الصفة الثالثة : أنه كان شديد التأثير في نفوس الجماهير ، قوي السيطرة على أهوائهم على انتزاع الثقة به ممن يتحدث إليه .

وبهذه الصفات الممتازة وبهذه المقدرة البارعة استطاع أن يجعل نفسه محور الدعاة للنصارى وقطبهم ، وأن يفرض ما ارتاه على النصارى فيعتنقوه ديناً ويتخذوا قوله حجة [١].

٤ ـ دخول بولس النصرانية :

قبل أن يتنصر (بولس) كان يهوديا متعصبا شارك كثيرا في اضطهاد النصارى الأوائل وقتلهم [٢] .

ويذكر سفر أعمال الرسل ، رضا بولس (شاؤول) بقتله " استفانوس " وأخرجوه خارج المدينة ورجموه والشهود خلصوا أثيابهم عند رجل شاب يقال له شاول [٣] .

وعند دخول (بولس) النصرانية يقول (لوقا) وعندما كان (بولس) قريبا من دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاءول شاءول لماذا تضطهدني ؟

---

(١) محاضرات في النصرانية ـ الإمام محمد أبو زهرة ص ٦٨ .
(٢) المسيحية الحقة كما جاء بها المسيح أ / علاء أبو بكر ص ٩٦ .
(٣) سفر أعمال الرسل ـ الإصحاح ٧ ـ فقرة ٥٨ .

فقال من أنت يا سيد ؟ .

فقال الرب أنا يسوع الذي تضطهده .

فقال وهو مرتعد ومتحير يا رب .

ماذا تريد أن أفعل ، فقال له قم وكرز بالمسيحية [١].

ويقول (لوقا) في ختام هذه القصة جملة ذات وبال غيرت وجه التاريخ هي وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله [٢] ولم تكن هذه الفكرة قد عرفت من قبل ، فأصبحت نقطة التحول في الدراسات النصرانية ، وقد حدث هذا التطور لشاءول ، أو حدث في تفكير شاءول وهو في الطريق من أورشليم إلى دمشق ، وكان ذلك حوالي ٣٨م [٣] .

وأرى أن قصة دخول " بولس " إلى النصرانية مشكوك فيها تماما وذلك لما يلي : ـــ

" فقد دخل (بولس) النصرانية وفق رواية خطؤها واضح تماما، ثم انطلق بتعليمه الخاص الذي أعلن فيه الاستغناء عن كل تعليم تلقاه تلاميذ المسيح من معلمهم بدعوى أنه تلقى تعليمه من المسيح مباشرة في تلك الرؤية المزعومة وهذا ما قرره " بولس " قائلا " لما سر الله الذي افرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحما ودما ولا صعدت إلى (أورشليم) إلى الرسل (التلاميذ) الذين بتلى ، بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضا إلى دمشق ثم بعد ذلك ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لا تعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً

---

(١) سفر أعمال الرسل ـ الإصحاح ٩ فقرة ٣ : ٧ .
(٢) سفر أعمال الرسل ـ الإصحاح ٩ ـ فقرة ٢٠ .
(٣) المسيحية د / أحمد شلبي ص ١٢٦ .

ولكني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب والذي أكتب به إليكم هو ذا قدام الله إني لست أكذب فيه " [١] .

ويعنهم من هذا النص أن (بولس) قد بدأ الدعوة إلى النصرانية وفق مفهومه الخاص لمدة ثلاث سنوات قبل أن يتعرف بتلاميذ المسيح الذين كانوا المرجع في كل ما يتعلق بالنصرانية والدعوة إليها [٢].

رسائل بولس :

كتب بولس أربعة عشر رسالة تمثل وحدها في حجمها خمسة أسداس الرسائل جميعا ، حتى ليمكن القول دون تردد أن رسائل " بولس " هي وحدها مصدر التشريع في النصرانية ، وأن التشريعات التي وردت في الرسائل الأخرى كانت تكراراً وصدى لآراء " بولس " وتشريعاته ، حيث إن أغلب رسائل " بولس " قد كتبت بين سنتي ٥٠، ٦٠ م أي بعد ما يقرب سبعة عشر عاما من رفع السيد المسيح عليه السلام [٣] .

وتشتمل هذه الرسائل على كثير من عقائد النصرانية وشرائعها وعبادتها وأخلاقها وتوجه قسطا كبيرا من عنايتها إلى توضيح العقيدة وتقرير ألوهية المسيح وبنوته لله ، ومبدأ التثليث وغيره من عقائد وشرائع ، ومن أجل ذلك اعتمدت النصرانية الحاضرة عليها أكثر من اعتمادها على ما عداها من أسفار العهد الجديد [٤] .

---

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ـ الإصحاح ١ فقرة ١٥ : ٢٠ .
(٢) حولية كلية أصول الدين بأسيوط العدد ١٨ ج١ عام ٢٠٠٠ ص ٦٢ .
(٣) المسيحية الحقة كما جاء بها المسيح أ / علاء أبو بكر ص ١١٠ .
(٤) حولية كلية أصول الدين بأسيوط عدد ١٨ ج١ عام ٢٠٠٠ ص ٧٥ .

ويرجع الأستاذ الدكتور / على عبد الواحد وافي السبب في ذلك إلى أن الأناجيل قد عرضت العقائد والشرائع والأخلاق في صورة مجملة ، وعبارات غامضة يعوزها الشرح والتوضيح ، على حين أن رسائل (بولس) قد جعلت هذه الأمور موضوعها الأصل ، وعالجتها في صورة مفصلة واضحة ، وكانت صريحة كل الصراحة في إثبات ألوهية المسيح وبنوته لله وعقيدة التثليث [١] .

وفاة بولس :

لقد استدار الزمن ووقع (شاوءل) فريسة في أيدي أقوام كانت أشد منه وأقصى ، فاضطهد وجلد وذاق مما أذاق غيره منه يوما فألقى سجينا في روما ، ووقف الحاكم السياسي مع الرسول الديني وجها لوجه وتغلب أولهما على الثاني ، واتهم بما اتهم به هو وزملاؤه في تسالونيكي بأنهم يعملون ضد أحكام قيصر قائلين إنه يوجد ملك آخر يسوع ، وكانت هذه جريمة يعاقب عليها بالإعدام ، وليس لدينا سجل قديم لهذه المحاكمة ولكن (تريليان) قد كتب بعد مائتي عام من وقوعها يقول ــ أن بولس استشهد في روما في عهد (نيرون) .

ونرجح أنه وهو ومواطن روماني قد جزم بأنه قتل بمفرده ، فلم يختلط بالنصارى الذين صلبوا قبل حريق عام ٦٤م [٢] .

---

(١) الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافي ص ١١٧ .

(٢) قصة الحضارة ـ ول ديورانت ج ١١ ص ٣٦٨ .

ثانياً : أثر بولس على العقيدة النصرانية :

لقد أثر بولس على العقيدة النصرانية في نواح عديدة ومظاهر متعددة منها : ـ

١ ـ أنه نقل النصرانية من التوحيد إلى التثليث :

إذا نظرنا إلى الديانة النصرانية في بداية أمرها فنجد أنها ديانة توحيد خالص لا يشوبها تجسيم أو تعدد أو شرك على الإطلاق والدليل على ذلك ما ورد في أناجيلهم .

فقد ورد في إنجيل (مرقس) أن المسيح لما أتاه أحد الناس يسأله أية وصية هي أول الكل .

فأجاب يسوع : أن أول الوصايا هي " يا إسرائيل " الرب إلهنا رب واحد ، ونحب الرب إلهك من كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى [١] .

فهذا النص يثبت أنه عيسى عليه السلام وقف من الوحدانية موقف المؤيد لها الداعي إليها .

وجاء في إنجيل (متى) ما نصه " أنه مكتوب الرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد [٢] .

وفي الإصحاح السابع عشر من إنجيل (يوحنا) يورد القديس يوحنا مناجاة السيد المسيح لربه الواحد وفي هذه المناجاة بين المسيح للناس طريق الحق ، طريق النجاة الأبدية ، يقول المسيح لربه وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي

---

(١) إنجيل مرقس : الإصحاح ١٢ فقرة رقم ٣٠ .
(٢) إنجيل متى : الإصحاح ٤ فقرة ١٠ .

وحدك [١] .

فهذه النصوص تثبت أن عيسى عليه السلام قد ألزم بهذا التوحيد ولم يشر إطلاقا إلى التثليث ، ولم يقل شيئا عن وجود الثالوث بأي معنى من المعاني ، فغير التوحيد إذن دخل النصرانية من بعده ، وأخذه النصارى من الثقافات المحيطة بهم تلك التي أثرت على نصرانية (بولس) ونقلتها إلى عبادة ثالوث مقدس فأصبحت هذه الحقيقة مسلما بها وأصبح الاتجاه العام وبخاصة بين الجماهير هو الإيمان بثالوث مقدس قريب الشبه بالثالوث الذي كانوا يؤمنون به قبل أن يدخلوا النصرانية [٢] .

وهذا ما أكده لنا الدكتور أحمد شلبي قائلا :" دخل بولس النصرانية وكان عارفا بالفلسفة الإغريقية التي تمثلها مدرسة الإسكندرية ، ووجد " بولس " الميدان خاليا واستخف الطرب بعض النصارى اللدود قد انتسب إليها .

وبدأ (بولس) يضع البذور التي نقل بها النصرانية من الوحدانية إلى التثليث ، ووافقت فكرة التثليث الجماهير ، وكانت الجماهير قد نفرت من اليهودية لتعصبها ، ومن الوثنية لبدائيتها ، فوجدت من الدين الجديد ملجأ لها ، وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفهم السابقة التي ألقوها وورثوها عن آبائهم وأجدادهم [٣] .

وإذا أمكنا أن نسمى متبعي الأناجيل الأربعة والعاملين بأوامر ابن مريم فيها بالنصرانية فلا يمكننا بأي حال من الأحوال أن تنسب نصارى اليوم إلى عيسى عليه السلام ، ولا نستطيع أن نسميهم

---

(١) إنجيل يوحنا ـ الإصحاح ١٧ فقرة ٣ .
(٢) حولية كلية أصول الدين بأسيوط العدد ١٨ ج ١ عام ٢٠٠٠ ص ٨٠ .
(٣) المسيحية د / أحمد شلبي ص ١٥١ .

بالنصرانيين إطلاقا فهم يبتعدون كل البعد عن تعاليمه غير عاملين بأمر من أوامره غير مجتنبين ما نهى عنه .

إن نصارى اليوم ينطبق عليهم اسم (البولسيون) لاتباعهم أوامر (بولس) وتسيرهم معه في التيار الذي سار فيه ، وتمسكهم بدينه الذي اخترعه لهم اختراعا ، وانشأه لهم إنشاء ، والذي اقتبسه لهم من ديانات الأمم الوثنية المختلفة واستعاره من عقائد بعض الشعوب [١] .

الرد على إدعاء النصارى بصحة عقيدة التثليث :

إن عقيدة التثليث التي ينادي بها (بولس) ، ويؤمن بها النصارى اليوم تقوم على التناقض فبينما يصرح أصحابها أن إلههم واحد خالق واحد نراهم ينقضون ذلك بقولهم في دستور إيمانهم الذي أقروه في مجمع نيقية (نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد إله حق من إله حق من جوهر أبيه مساو الأب في الجوهر) .

وأثبتوا هنا إلهين ثم اثبتوا روح القدس إلها واحد وقالوا إنه مسجود له ، فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة ، ويقولون إنما نثبت إلها واحداً أليس هذا تناقضاً ظاهراً وجمعاً بين النقيضين بين الإثبات والنفي [٢] .

وإذا فرضنا أن عقيدة التثليث هي مدار النجاة عند النصارى فكيف خفى ذلك على آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام بل كيف خفي ذلك على إسحق وجميع أنبياء بني إسرائيل ، إن هؤلاء لم يرد عنهم في التوراة إلا ما يدل على التوحيد الحقيقي وحده ، وقد نزهوا الله

---

(١) المسيح والتثليث د / محمد وصفي ص ٦٧ .

(٢) الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ج١ ص ٥٠٥ .

تعالى عما لا يليق به من الصفات ، وحذروا وقاموا ضد الإشراك بالله تعالى ، فمن ذلك ما جاء في التوراة (العهد القديم) " اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك ، وحين تمشى في الطريق ، وحين تقوم ، واربطها على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك [١].

فانظر كيف جعل الله التوحيد شعارا أبديا وعهدا دائما لا يزول [٢].

وأخيرا نقول : إن عقيدة التثليث عند النصارى ليست إلا خرافة لا تستحق التعليق [٣].

٢ ـ القول بألوهية المسيح عليه السلام :

لقد وضع (بولس) بذرة ألوهية المسيح عليه السلام وصادفت البذرة أرضا خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت النصرانية ، وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه النصارى الأول من الاضطهادات المدمرة تلك الاضطهادات التي التهمت كثيرا من مراجعهم وقضت على أتباع النصرانيين الحقيقيين أو كادت أن تقضي عليهم ، وقد استمرت هذه الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون حتى سنة ٣١٣ م وخلال هذه القرون فقدت النصرانية طابعها من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل والخرافات المتعددة ، وخرجت إلى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال ، وفيها تناقض ظاهر في كل معانيها ، وأشد أنواع التناقض

---

(١) سفر التثنية ـ الإصحاح ٦ فقرة : ٨ .
(٢) المسيح والتثليث د / محمد وصفي ص ١٠٩ .
(٣) المسيحية د / أحمد شلبي ص ١٤٧ .

هو ما اتصل بالسيد المسيح نفسه ، فقد كان بعضهم يراه رسولا ككل الرسل، ورآه آخرون إلها ، واشتدت الاضطرابات بين الجماعات النصرانية [١] .

فالذين يرون إنه إله استدلوا على ذلك بما ورد في إنجيل يوحنا في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله والكلمة صار جسدا وصل بينا ورأينا مجده مجدا كما لو حيد من الأب مملوءاً نعمة وحقا [٢] .

والذي نراه أن هذا النص ليس صريحا واضحا في إثبات ألوهية المسيح عليه السلام ، وقضية خطيرة كهذه يجب أن تكون النصوص التي تدل عليها واضحة لا تحتمل تأويلين أو تفسيرين كما أننا لا نوافق على أن كلمة " في البدء " يقصد بها البداية المطلقة التي تدل على الأزلية أين الدليل على هذا ؟ ثم ما معنى أن يقول (يوحنا) أو كان الكلمة الله ؟ والكلمة كان عند الله ؟ أليس هذا تناقضاً بيناً ؟ كيف تكون الكلمة عند الله وهي عين الله ؟ [٣].

ويستدل النصارى على أن المسيح إله لأنه لم يولد من البشر، ولو كان مخلوقا لكان مولودا من البشر ولكن نقول لهم إن كان هذا الاستدلال صحيحا فآدم عليه السلام هو إله المسيح وهو أحق بأن يكون إلها منه لأنه لا أم له ولا أب والمسيح عليه السلام له أم ، وكذلك حواء لا أم لها ، لأنها أعجب من خلق المسيح عليه السلام ، والله سبحانه وتعالى قد نوع خلق آدم وبينه إظهاراً لقدرته وأنه يفعل ما يشاء ، فخلق آدم عليه السلام لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر لا من أنثى ، وخلق عبده المسيح من أنثى لا

---

(١) المسيحية د / أحمد شلبي ص ١٦٠ .
(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول فقرة ١ : ١٤ .
(٣) التثليث بين الوثنية والمسيحية د / محمود حماية ص ٢٥ .

من ذكر ، وخلق سائر النوع من ذكر وأنثى [١].

الأدلة على عدم ألوهية المسيح عليه السلام :

لقد وردت في الأناجيل نصوص صريحة تدل على أن المسيح عليه السلام بشرا ورسول أرسله الله عز وجل إلى بني إسرائيل وتنفي القول بألوهيته منها ما جاء في إنجيل متى " أن الشيطان أخذ المسيح إلى المدينة المقدسة ووافقه على جناح الهيكل وقال له " إن كنت ابن الله اطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصطدم بحجر [٢].

ثم إن إبليس أخذه مرة أخرى على جبل عال وأراه ممالك الدنيا ومجدها ووعده بإعطائها له إن هو أطاعه وسجد له فقال المسيح عليه السلام " اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد [٣].

فهذا النص الذي رواه (متى) في إنجيله يدل على بشرية المسيح عليه السلام ، لأن المسيح لو كان إلها كما يقولون لما قاده الشيطان إلى المدينة المقدسة أو إلى جبل عال ليشاهد مما لك الدنيا فهل يليق بإله إن ينقاد للشيطان حينما أراد؟ وهل يا ترى انقاد المسيح للشيطان سامعا مطيعا أم كارها ؟ إن كلا الصنفين يتنزه عنهما الصالحون من عباد الله فكيف بالله وابن إله كما يزعمون .

وكيف يطمع إبليس في أن يسجد له خالقه ؟وكيف يجترىء عليه الشيطان بمثل هذا القول؟ أليس في هذا دليل على بشريته عليه السلام خصوصا وأنه القائل في رده على الشيطان مكتوب أيضا لا

---

(١) هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ١٩٣ .
(٢) إنجيل متى الإصحاح ٤ فقرة ٥ : ٦ .
(٣) إنجيل متى الإصحاح ٤ فقرة ١٠ .

تجرب الرب إلهك " والعجب في هذا النص أن إبليس يمنى الإله بملك الدنيا ومجدها وهو خالقها وخالقه ومالكها ومالكه ؟ .

فإن قالوا إنما دعا الناسوت وحده قلنا فإن اللاهوت والناسوت عندكم متحدان بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا والمسيح عندكم إله معبود وقد قلتم أن إبليس قاد المسيح فانقاد له المسيح ودعاه إبليس إلى عبادته والسجود له ، ومناه إبليس بملك الدنيا وقال المسيح ، وقال له المسيح وعلى قولكم أنه خاطب الناسوت إنما دعا نصف المسيح ، فكيف وكلام (متى) يمنع من هذا ، ويوجب أن إبليس إنما دعا اللاهوت ؛ لأنه قال إن كنت ابن الله فافعل كذا [١].

وإذا كان النصارى الأرثوذكس يقولون أن الله هو المسيح والمسيح هو الله ، والمسيح يبين المغايرة بينه وبين الله فيقول " أبى الذي أعطاني إياه " أي الذي أعطاني المعجزات (هو أعظم من الكل) فيكون مصرحا باثنين أحدهما عظيم والآخر أعظم ، وهذا ينقض إدعاء النصارى الأرثوذكس في ألوهيته وعلى هذا المعنى يكون قوله (أنا والرب واحد) معناه واحد في الهدف [٢] .

من خلال ما سبق نستطيع أن نقول " أن (بولس) لم يفهم تعليم المسيح عليه السلام ــ بل حمله على محمل آخر ثم مزجه بكثير من تقاليد الفرنسيين وتعاليم العهد القديم (وبولس) كما لا يخفي كان رسولا للأمم أو رسول الجدال والمنازعات الدينية ، وكان يميل إلى المظاهر الخارجية كالختان وغيره ، فأدخل أمياله على هذا الدين النصراني فأفسده ومن عهده ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس ، وأما تعليم المسيح الأصلي الحقيقي فخسر صفته الإلهية

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل - لابن حزم ج٢ ص ٣٦ بتصرف تحقيق د / محمد إبراهيم نصر و د / عبد الرحمن عميرة .

(٢) الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل - أبي حامد الغزالي ص ٣٢ .

الكمالية ، بل أصبح إحدى حلقات سلسلة الوحي التي أولها منذ ابتداء العالم وآخرها في عصرنا الحالي والمستمسكة بها جميع الكنائس وأن أولئك الشراح والمفسرون يدعون يسوع إلها دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون في دعواهم على أقوال وردت في خمسة أسفار موسى والزبور وأعمال الرسل ورسائلهم وتأليف آباء الكنيسة ، مع أن هذه الأقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله [١] .

وإذا كان النصارى لا يعرفون حقيقة سيدنا (عيسى) عليه السلام فإنا نقول لهم أن (عيسى) عليه السلام خلق بكلمة الله عز وجل وقدرته قال تعالى : " **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ** "[٢] .

فهذه الآيات تبين أن المسيح عليه السلام عبد الله وليس بإله وأنه مخلوق كما خلق آدم عليه السلام ، وقد أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يباهل من قال إن المسيح إله ، فيدعو كل من المتباهلين أبناءه ونساءه وقريبه المختص به ثم يبتهل هؤلاء وهؤلاء ، ويدعون الله عز وجل أن يجعل لعنته على الكاذبين ، فإن كان النصارى كاذبين في قولهم إن المسيح عليه السلام هو الله حقت

---

(١) محاضرات في النصرانية الإمام محمد زهرة ص ١٧٣ .
(٢) سورة آل عمران الآيات ٥٩ ـ ٦٣ .

اللعنة عليهم ، وإن كان من قال ليس هو الله بل عبد الله كاذبا حقت اللعنة عليه ، وهذا إنصاف من صاحب يقين نعلم أنه على حق ، والنصارى لما لم يعلموا إنهم على الحق تكلموا عن المباهلة وتراجعوا عنها [١] . وهذا يوضح لنا كذبهم وبطلان قولهم بألوهية المسيح عليه السلام .

٢ - القول بصلب المسيح عليه السلام :

لقد وضع (بولس) القواعد الأساسية لفكرة صلب المسيح عليه السلام ، وهو الذي دعا إليها ونادى بها في النصرانية .

ولقد ورد في إنجيل (لوقا) ما يدل على ذلك " ومما لا ريب فيه إن الفكرة الأساسية التي ملكت على (بولس) مشاعره فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم ، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليقتديهم على الصليب وينتقل بهم من عهد الناموس إلى عهد النعمة ، وهذه الفكرة هي التي هيمنت على إنجيل لوقا [٢].

ولقد بنى (بولس) عقيدته أو دينه على الإيمان بإله وهمي تجسد في رحم امرأة ومكث فيه تسعة أشهر ثم ولد من أمه ، وبعد ثلاثين عاماً صلب وقتل ولعن ليفتدي العالم من خطيئة وهمية وصم بها الجنس البشري [٣] .

ولقد أوهم بولس النصارى بهذه العقيدة فقال لهم إنه من تمام رحمة الله تبارك وتعالى على عباده أنه رضى بإراقة دمه عنهم على خشية الصليب فمكن أعداءه اليهود من نفسه ليتم سخطه عليهم

---

(١) الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح لابن تيمية ج٢ ص ٣٢ .
(٢) إنجيل لوقا - الإصحاح ٢٤ .
(٣) المسيح والتثليث د / محمد وصفي ص ٦٧ .

فأخذوه وصلبوه وصفعوه وبصقوا في وجهه وتوجوه بتاج من الشوك على رأسه [١] .

والحكمة من ذلك ، أن الله من صفاته المحبة حتى لقد جاء في الكتب المقدسة (الله محبة) ومحبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم ، لأن العالم منذ سقوط آدم عليه السلام في الخطيئة هو وبنيه إلى الدنيا مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة ، ولكن الله من شرط محبته وفيض نعمته رأي أن يقربه الله بعد هذا الابتعاد ، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم من هذه الخطيئة [٢].

الرد على ادعاء النصارى بصلب المسيح عليه السلام :

إن عملية صلب المسيح ــ عليه السلام ــ ليفدي العالم من خطيئة سيدنا آدم ــ عليه السلام ــ لا يتحقق بها عدل ولا رحمة لأنه ليس من العدل في شيء أن يؤتي ببريء غير مذنب ويطوق إثم جريمة جناها سواه كما أن عقاب غير الآثم ليس فيه رحمة ، وبخاصة إذا كان المعاقب من شأنه الحيلة أن تشمله الرحمة ولو مع الذنب فالابن البار من الإثم أولى [٣] .

ثم إن العقاب على هذا الوجه يخالف الكتاب المقدس عند النصارى فقد ورد في سفر التثنية ما يبرهن ذلك " لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل " [٤] .

لأن الذي يعلق على خشبه ملعون من الله وكيف يلعن الله من

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ٣١ .
(٢) محاضرات في النصرانية الإمام محمد أبو زهرة ص ٩٨ .
(٣) قصص الأنبياء / عبد الوهاب النجار ص ٥١٤ .
(٤) سفر التثنية إصحاح ٢٤ فقرة ١٦ .

لم يخطيء " وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبه فلا تثبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيب [١] .

وعلى قول النصارى قد بقي الله تعالى مجردا عن صفتي العدل والرحمة من زمن عصيان آدم إلى أن اهتدى إلى تلك الحيلة التي ظهرت له قبيل خلق المسيح في مريم عليهما السلام .

وهناك محظور آخر وهو أن عقيدة الصلب لما كانت هي كل الإيمان ، كانت حاوية لمعتنقها على نبذ كل الفضائل بل مخذلة عن فعل كل بر وتقوى فيكون صاحبها إباحيا فاتكاً ليس للفضيلة في نفسه نصيب [٢] .

أما عن صلاة المصلوب ، فلم يوح بها إلا إنجيل (لوقا) فذكر قول المسيح عليه السلام على زعمهم " يا ابتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون " فإن هذه العبارة لم تذكرها الاناجيل الثلاثة ، فكيف تصدر من (لوقا) وهو قد وعد في بداية إنجيله بأنه لن يذكر شيئا في تاريخه إلا بعد تيقنه بالأمور من الذين كانوا مشاهدين وخداما للكلمة بذلك إلى متى ويوحنا والحواريين ولم يذكر أي من متى أو يوحنا أو مرقس حرفا واحداً من ذلك مع أن هذه الكلمة أتت ضربة قاضية لأساس العقائد النصرانية لأنها أثبتت أمرين عظيمين:ـــ

الأمر الأول :

أن المسيح عليه السلام ليس بيده من الأمر شيء كسائر البشر وأن الأمر كله لله الذي خلقه وخلق أمه العذراء البتول .

---

(١) المصدر السابق إصحاح ٢١ فقرة رقم ـ ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) قصص الأنبياء ـ الشيخ / عبد الوهاب النجار ص ٥١٤ .

الأمر الثاني :

أن المسيح عليه السلام لم يصلب كما زعموا بمحض إرادته ليفدي الناس من خطيئة آدم عليه السلام ، بل كان صلبهم للمصلوب جهلا وعنادا ، ولو كان المسيح إلها لخاطبهم بقوله " إني غفرت لكم لأنكم لا تعلمون ما تفعلون " [١] .

وصدق الله العظيم حيث قال : " **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً** " [٢] .

٤ ـ القول بعالمية النصرانية :

لا شك أن (بولس) هو أول من قال بعالمية النصرانية وأفاض في شرحها في رسائله ، واعترف أن هذه النعمة أعطيت له وهو أصغر القديسين دونهم جميعا ليبشر بها بين الأمم وليثير الجمع فيما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور " [٣] .

ويعترف الكتاب النصارى أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأول لم يفهموا هذه الحقيقة حتى اكتشفتها عبقرية (بولس) ولم يفقه التلاميذ الأولون في باديء الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت، ولكن عبقرية الرسول (بولس) قد فطنت إلى تضاعف الرسالة من هذه الناحية وعرف أنها لليهود والأممي والبربري والذكر والأنثى على السواء دون تفريق أو تمييز [٤].

---

(١) المسيحية الحقه كما جاء بها المسيح أ / علاء أبو بكر ص ٢٩٦ .
(٢) سورة النساء الآيات : ١٥٧ ـ ١٥٨ .
(٣) رسالة بولس إلى أهل أفسس الإصحاح رقم ٣ فقرة ٨ ـ ٩ .
(٤) المسيحية د / أحمد شلبي ص ١٣٠ وما بعدها .

ونحن إذا نظرنا إلى العقيدة النصرانية الحالية فنجد أنها تحير العقول لما فيها من التناقضات الظاهرة في كل عقائدها وتشريعاتها ، ومن هذه التناقضات نجد أن العهد الجديد به نصوص توضح أن السيد المسيح عليه السلام اهتم بالتبشير بالنصرانية لجميع الأمم وفي نفس الوقت نجد نصوصا أخرى تذكر أن المسيح عليه السلام حدد لنفسه ولتلاميذه مجال عمله ودائرة التبشير التي ينبغي التجول فيها ولا يخرج عنها [١] .

أما النصوص الدالة على عالمية النصرانية فهي ما يلي :

١ ــ ما ورد في إنجيل متى ما نصه :

" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس " [٢] .

٢ ــ ما ورد في إنجيل مرقس ما نصه :

" اذهبوا إلى العالم اجمع وكرزوا بالأناجيل للخليقة كلها " [٣]

٣ ــ ما ورد في إنجيل لوقا ما نصه :

" وإن يكرز بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم " [٤] .

هذه هي النصوص التي يعتمد عليها النصارى في ادعائهم العالمية لديانتهم وعقيدتهم والتي من خلالها يجوبون العالم شرقه وغربه .

---

(١) حولية كلية أصول الدين بأسيوط العدد ١٤ طبعة عام ١٩٩٦ ص ٣٠٤ .
(٢) إنجيل متى الإصحاح ٢٨ فقرة ١٩ .
(٣) إنجيل مرقس الإصحاح ١٦ فقرة ١٥ .
(٤) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٤ فقرة ٤٧ .

أما النصوص التي تدل على خصوصية الديانة النصرانية فإن المطلع على أسفار العهد الجديد يجد نصوصا كثيرة توضح أن السيد المسيح عليه السلام قد حدد لأتباعه وحواريه أن رسالته خاصة بالشعب الإسرائيلي فقط ، ومما يدل على ذلك إن امرأة كنعانية أي لم تكن من بني إسرائيل لما جاءت تطلب من السيد المسيح عليه السلام أن يدعو لها الله تعالى بأن يشفي ابنتها من الجنون رفض ، لأنها لم تكن من بني إسرائيل [١].

ويحكي لنا هذا الموقف إنجيل (متى) حيث يقول " ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي سور وصيدا وإذا بامرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيدي يا ابن داود ابنتي مجنونة جدا فلم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة [٢] .

الرد على ادعاء النصارى بعالمية النصرانية :

إن ادعاء النصارى بأن ديانتهم ديانة عالمية ادعاء باطل وزعم فاسد وذلك لما يلي : ــ

أولاً : أن النصوص التي تذكر إن النصرانية دعوة عالمية جاءت في خواتيم الإناجيل وهذه الخواتيم مشكوك فيها وغير متفق عليها [٣].

ثانياً : أن الذي يقرأ رسائل بولس يجد أن بولس لم يورد دليلاً واحدا ولا كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عليه السلام عن

---

(١) حولية كلية أصول الدين بأسيوط العدد ١٤ طبعة عام ١٩٩٦ ص ٣٠٥ .
(٢) إنجيل متى الإصحاح ١٥ فقرة ٢١ ـ ٢٤ .
(٣) حولية كلية أصول الدين بأسيوط العدد ١٤ لعام ٩٦ ص ٣٠٦ .

عالمية النصرانية ، وإنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره [١].

ثالثاً : أن ما قاله ــ علماء النصرانية بأن المراد بملكوت الله في أرضه هو شيوع الملة النصرانية في جميع العالم وإحاطتها كل الدنيا بعد نزول عيسى عليه السلام هذا تأويل ضعيف وخلاف الظاهر وترده التمثيلات المنقولة عن عيسى عليه السلام [٢].

رابعا : أن القرآن الكريم وضح لنا أن الديانة العالمية الوحيدة هي الديانة التي أتى بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالى : " **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** " [٣] .

---

(١) المسيحية د / احمد شلبي ص ١٣١ .

(٢) إظهار الحق ـ رحمة الله الهندي ج٢ ص ٦٠٣ .

(٣) سورة سبأ ـ آية رقم ٢٨ .

المبحث الخامس

البراهين الساطعة في إبطال عقيدة التثليث عند النصارى

إن عقيدة التثليث لا يقول بها عاقل ، ولا يدعيها إلا كاذب ، ولا يؤمن بها إلا عديمي الإيمان لأن الله عز وجل واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله ، وإليك البراهين الساطعة التي تبطل هذه العقيدة وتزولها من أساسها .

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم على إبطال عقيدة التثليث عند النصارى :

١ ــ لقد وردت في القرآن الكريم آيات ساطعة وبراهين قاطعة وأدلة دامغة تبين وحدانية الله عز وجل وأنه منزه عن الولد والشريك منها قوله تعالى : " **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** " (١).

ومنها قوله جل جلاله " **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** " (٢) .

ومنها قوله جل جلاله : "**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**" (٣) .

٢ ــ إن القرآن الكريم وضح لنا أن جميع الأنبياءوالمرسلين على وجه الأرض من لدن سيدنا آدم عليه السلام وحتى رسالة سيدنا

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ٩١ .
(٢) سورة الإخلاص كاملة .
(٣) سورة البقرة آية رقم ١٦٣ .

محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين قامت رسالتهم ودعوتهم على توحيد الله عز وجل . وهو التوحيد المطلق الذي لا يعتريه شك ولا يشوبه نقص قال تعالى : " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** "[1] .

٣ ــ إن الله عز وجل بين لنا في القرآن الكريم حقيقة سيدنا عيسى عليه السلام وأنه رسول الله وكلمته وفي نفس الوقت نهى أهل الكتاب عن المبالغة في شأنه والمغالاة في أمره فقال الحق جل في علاه : " **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً** " [2] .

٤ ــ إن القرآن الكريم وضح لنا أن سيدنا عيسى عليه السلام ما دعا قومه إلا إلى عبادة الله الواحد القهار وما نهاهم إلا عن الشرك بالله جل جلاله قال تعالى : " **وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** " [3] .

٥ ــ إن الله عز وجل بين لنا في القرآن الكريم براءة المسيح عليه السلام من كل ما اتهمه به النصارى من اتهامات باطلة فقال الحق جل في علاه : " **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا**

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم : ٢٥ .
(٢) سورة النساء آية رقم ١٧١ .
(٣) سورة المائدة آية رقم : ٧٢ .

يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " (١).

٦ ــ أن القرآن الكريم كفر كل من يقولون بالتثليث وكل من يدينون بهذه العقيدة الباطلة وحذر القائلين بالعذاب الأليم في الآخرة قال تعالى : **" لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "** (٢) .

ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة : ــ

والصحيح أنها نزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغيره ثم اختلفوا في ذلك فقيل المراد بذلك أكفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قاله ابن جرير وغيره والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة (٣) .

ثانياً : الأدلة من الكتاب المقدس على إبطال عقيدة التثليث عند النصارى :

لقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب المقدس تقرر وحدانية

---

(١) سورة المائدة الآيات رقم ١١٦ ـ ١١٧ .
(٢) سورة المائدة آية رقم : ٧٣ .
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص ٧٧ .

الله سبحانه وتعالى وأنه منزه عن الشريك والولد منها .

١ ــ " فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه " [١].

٢ ــ وقوله " اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد " [٢].

٣ ــ وقوله " أنا الأول والآخر ولا إله غيري " [٣].

فهذه نصوص واضحة في إثبات وحدانية الله عز وجل ومعارضة لعقيدة التثليث عند النصارى .

٤ ــ وجاء في إنجيل متى " وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية فقال له لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله [٤].

فالمسيح عليه السلام لم يرض أن يطلق عليه لفظ صالح ولو كانت عقيدة التثليث صحيحة لوجب عليه أن يبين ذلك ويقول لا صالح إلا الرب والابن والروح القدس ، لأن البيان والتبليغ واجب عند وقت الحاجة ، وإذا كان المسيح عليه السلام لم يرض بقوله الصالح فكيف يرضي بأقوال أهل التثليث التي يتفوهون بها في أوقات صلاتهم (يا ربنا يسوع المسيح لا تضيع من خلقت بيدك) حاشا المسيح عليه السلام أن يرضى بذلك [٥] .

٥ ــ وجاء في إنجيل (متى) ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلي إيلي لم سبقتني أي إلهي إلهي لماذا

---

(١) سفر التثنية إصحاح ٤ فقرة ٣٩ .
(٢) سفر التثنية إصحاح ٦ فقرة ٤ .
(٣) سفر أشعياء إصحاح ٤٤ فقرة ٦ .
(٤) إنجيل متى إصحاح ١٩ ١٦ ـ ١٧ .
(٥) إظهار الحق ـ رحمة الله الهندي ج ٢ ص ٣٧٤ .

اتركتني .. فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم واسلم الروح [١].

فهذا القول يبطل عقيدة التثليث ويأتي عليها من القواعد، لأن المسيح لو كان إليها ما استغاث بإله آخر قائلا إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ خصوصا وإن هناك نصوصا في العهد القديم تبين أن الإله الحقيقي سرمدي لن يضعف ولن يتعب ولن يفني مثال ذلك ما ورد في سفر أشعياء ما نصه أما عرفت أم لم تسمع إله الدهر الربّ خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا [٢] وجاء في سفر أرميا " أما الرب الإله نحن هو إله حي وملك أبدي " [٣] .

وجاء في سفر حبقوق " يا رب إلهي قدوس لا تموت " [٤] فكيف يعجز إله هو صفته ، لا ريب أن العاجز الفاني الذي يستغيث بغيره لا يكون إلهاً بأي حال من الأحوال [٥].

٦ ــ جاء في إنجيل " يوحنا " قول المسيح عليه السلام في خطاب مريم المجدلية هكذا " لا تلمسني لأني لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم " [٦] .

فالمسيح عليه السلام سوى بينه وبين الناس في هذا القول أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم لكيلا يتقولوا عليه الباطل فيقولوا أنه إله وابن إله فكما أن تلاميذه عباد الله وليسوا بأبناء الله حقيقة بل المعنى المجازي فكذلك هو عبد الله وليس بابن الله حقيقة [٧] .

---

(١) إنجيل متى إصحاح ٢٧ فقرة ٤٦ ـ ٥٠ .
(٢) سفر أشعياء إصحاح ٤ فقرة ٢٨ .
(٣) سفر أرميا إصحاح ١٠ فقرة ١٠ .
(٤) سفر حبقوق إصحاح ١ فقرة ١٢ .
(٥) التثليث بين الوثنية والمسيحية د / محمود حماية ص ٧٣ .
(٦) إنجيل يوحنا إصحاح ٢٠ فقرة ١٧٥ .
(٧) إظهار الحق ـ رحمة الله الهندي ج ٢ ص ٣٧٨ .

ولذلك نرى أن يسوع عليه السلام يقول أن له إلها وهذا يزيل كل اللبس في فهم الإنجيل ويؤدي إلى الفهم الصحيح له ، ويدعونا لرفض فكرة الثالوث والإيمان بالله الواحد الأحد [١] .

ثالثاً : الأدلة العقلية على إبطال عقيدة التثليث عند النصارى :

أولاً : إن عقيدة التثليث لا يقبلها العقل بأية حال من الأحوال لأن الفطرة تقر بوحدانية الله عز وجل . " فكيف يتفق أن يكون الابن ابنا لنفسه وفي الوقت ذاته أبا لنفسه هذا عين المحال ، وعلى اعتبار التقسيم المذكور يكون لكل اقنوم وظيفة خاصة به ، وصفة تلازمه لا يتصف بها غيره ، ولا يكون لأيهم صفة الألوهية منفردا ، بل يكون كل منهم ناقصا حتى ينضم إليه الاقنومان الآخران ، والتركيب في ذات الله تعالى محال لأن المركب يحتاج إلى كل جزء من أجزائه فيكون حادثاً ، ثم ما دام الأب هو مكون الكائنات والابن هو المخلص والروح القدس هو معطي الحياة فيكون الأب عاجزا عن التخليص وعن إعطاء الحياة ، ويكون المخلص عاجزا عن تكوين الكائنات وإعطائها الحياة ويكون الروح القدس عاجزا عن تكوين الكائنات وتخليصها ، وأن يتكون الله من أقانيم عاجزة لهو عين الوهم والمحال [٢].

وصدق الله العظيم حيث قال : " **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** " [٣] .

ثانياً : أن تسمية الإله بالأب والابن والروح القدس التي يدعيها النصارى ، ما هي إلا أمور من قبيل الخرافات التي لا أساس

---

(١) المسيح في الإنجيل بشر د / ممدوح جاد ص ١٩١ .
(٢) المسيح والتثليث د / محمد وصفي ص ١٠٧ وما بعدها .
(٣) سورة النجم آية رقم ٢٨ .

لها من الصحة في شيء .

" لأنه يدل عليها قياس ولا حاسة من الحواس الخمس ، ما هذه الأسماء ؟ أهي أسماء طبيعية ذاتية جوهرية أم هي أسماء شخصية قنومية أم هي أسماء حادثة عرضية .

وإن كنتم سميتم الأب عندكم أبا لأنه ولد بزعمكم ولدا أو ابنا فليس هذه الأسماء بأسماء طبيعية ذاتية ولا أسماء أيضا قنومية شخصية ولكنها حادثة عرضية ، عند حدوث أولاد بين الوالدين والأولاد ، وليس بأسماء طبيعية ولا قنوم لا في الروم ولا في غير الروم ، والطبيعية إنما تسمى بطبائعها وذاتها ، وبما يكمل ذلك كله لها من اجتماعها : لأنا بالأسماء المعلقة بالعلة المشتقة من الأفعال المعتملة أعرف ، لأن اسم الطبيعية غير اسم القنوم واسم القنوم غير اسم الفعل المعلوم واسم الطبيعة ثابت لا اختلاف فيه ، ولا تفاوت ؛ وإنما هو اسم لها محدود موقف لا يتصرف فيها ولا يختلف فلا يدل على أقنوم ولا فعل مفعول ولكنه اسم الشيء نفسه يدل عليه لا على جنسه كالأرض والسماء والنار والماء وأشباه ذلك من الأسماء التي تدل على أعيان الأشياء فهذه هي أسماء الذات والطبائع لا أسماء الأقانيم والصنائع [1] .

ثالثا : قد يقول قائل ــ إن النصارى معذورون في قولهم بالتثليث لأنهم أخذوه عن الأنبياء وثبت ذلك في كتبهم المقدسة لديهم، ولكن يرد عليهم بما يلي : ــ

١ ــ أن رسل الله وأنبياءه ــ ونبي الله عيسى واحد منهم لا يقولون إلا الحق والصدق الذي لا يتعارض مع العقل ، بل يصدق

---

[1] الرد على النصارى ـ القاسم الرسي ص ٤٠ .

بعضه بعضا ، نعم قد يقول الرسل قولا يعجز العقل عن إدراكه ومعرفته ولكن يستحيل في حق الرسل ــ يخبرونا بما يرده العقل وترفضه الفطرة السليمة .

٢ ــ ما ينقل عن الرسل والأنبياء لا يكون حجة إلا شروطا :

أ ــ أن ينقل إلينا عن طريق التواتر ، أي يرويه جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ، بحيث يروي جمع عن جمع أن هذا الرسول قال هذا الكلام بسند متصل .

ب ــ كذلك لابد من العلم أن يكون هذا الكلام الذي قاله الرسول بلغته ترجم إلى اللغة الأخرى ترجمة صحيحة ، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة المترجم ، وتمكنه من اللغتين ، وهل هو أمين ثقة أم غير ذلك .

ج ــ وأيضا لابد أن نعرف بالدليل أن هذا المعنى الذي فسر به علماء النصارى النص هو الذي أراده الرسول الذي نقل عنه ، وليس مع النصارى حجة يثبتون بها هذه المقدمات الثلاث ، ولذلك فنحن في هذا المقام يكفينا المنع والمطالبة لهم بتصحيح هذه المقدمات ، فإنهم أن أدعو أن التثليث أخذوه عن الأنبياء فنحن نطالبهم بتصحيح هذه المقدمات .

٣ ــ أنه لا يوجد في كتب الأنبياء وكلامهم إطلاق اسم الأب والمراد به أب اللاهوت ، ولا إطلاق اسم الابن والمراد به شيء من اللاهوت ، ولا كلمته ولا حياته ، بل لا يوجد لفظ الابن إلا والمراد به المخلوق ، فلا يكون لفظ الابن إلا الابن المخلوق .

فيلزم من ذلك أن يكون مسمى الابن في حق المسيح عليه السلام هو الناسوت ، وهذا يبطل قولهم أن الابن وروح القدس

أقنومان أو صفتان لله ، وتبين أن نصوص كتبهم تبطل مذهبهم في التثليث وتناقض أمانتهم [١].

رابعاً : إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم الثلاثة عند النصارى فالأمر الذي حصل به هذا الامتياز إما أن يكون صفات الكمال أو لا يكون فعلى الشيء الأول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه بينهم وهو خلاف ما تقرر عندهم أن كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال ، وهذا نقصان يجب تنزيه الله تعالى عنه [٢].

خامساً : إذا كان النصارى يقولون بأن الله تعالى جوهر واحد ثلاثة أقانيم ، فإنا تقول لهم هذا تناقض ظاهر ، لأن قولكم في الشيء أنه في الوجه الذي صار واحدا لا يتجزأ ولا يتبغض وقولنا وقولنا ثلاثة يقتضي أنه متجزيء ، وإذا قلتم أنه واحد ثلاثة أقانيم ، كان التناقض أن يقال في الشيء أنه موجود معدوم أو قديم محدث [٣].

سادساً : إذا كان العقل لا يستطيع أن يتصور حقيقة الأقانيم الثلاثة كما يزعم النصارى فأي وضوح في هذه العقيدة مع عدم تصورها وأي اطمئنان وأي سكون للنفس مع الحيرة ؟أليس النفس حائرة ، كيف تتصور الكثرة في واحد والواحد في كثرة ؟ .

فكيف نسكن ونطمئن ؟ ومن نناجي وندعو ونلجأ إليه عندما نتعرض للنوائب والنوازل ؟ .

---

(١) الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح ـ تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ج١ ص ٤٧٧ وما بعدها .

(٢) إظهار الحق ـ رحمة الله الهندي ج٢ ص ٣٦٥ .

(٣) التثليث بين الوثنية والمسيحية د / محمود حماية ص ٦٨ .

هل ندعو الأقنوم الأول أو الأقنوم الثاني أو الأقنوم الثالث؟

أليس هذا عين الشقاء والتعاسة والتشتت إذا كان هذا الأمر فوق إدراك العقل وفوق تصوره فكيف تطمئن النفس إلى ما تجهله .

أليس هذا هو عين الحيرة والتشتت [١].

موقف الإسلام من عقيدة التثليث عند النصارى :

إن عقيدة التثليث التي يؤمن بها النصارى اليوم في شتى بقاع العالم فيها انحراف كامل وبعد كبير عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام ، من أجل هذا الانحراف واجه المجتمع الإسلامي من أول ظهوره وثنية رومانية تسمى نفسها بالنصرانية .

والحق أنها لا صلة لها بنصرانية عيسى عليه السلام فقد اتضح للمسلمين دون عناء أن النصرانية الحالية خليط من وثنيات العالم القديم ولا يوجد بها طقس من الطقوس الصحيحة أو عقيدة من العقائد إلا كان من الممكن إعادته لما قال به أفلوطين بالإسكندرية أو ما أعذر عن تقاليد اليونان والرومان والمجتمعات البربرية في أوربا .

ومن الواضح أن الإسلام كان يتعارض تعارضا جذريا مع وثنية الروم ، وقد وقف مناديا بالنصرانية الحقه التي تقود الإسلام مصححا أفكار المنحرفين ، فاستجاب لها الكثيرون ، وآخرون أرادوا أن يغمضوا عيونهم عن النور ، فظلوا في طبقات الظلام ومجاهل الانحراف [٢] .

إذن فإن عقيدة النصرانية بما تدعو إليه من تثليث الله

---

(١) دراسات في العقيدة في ضوء العقل والعلم د / أحمد سليمان ص ٢٥٣ .

(٢) المسيحية د / أحمد شلبي ص ١٨٠ .

سبحانه وتعالى ، وبنا تقوم عليه من تناقض مع العقل والواقع والفطرة السليمة منافية للحقيقة تمام المنافاة .

فهما يقفان معا على طرفي نقيض ، فهي من صنع البشر، ومن محض تخيلاتهم فإلصاق شيء منها بالمسيح عليه السلام هو افتراء على نبي من أنبياء الله بشيء لم يقبله ،لأن المسيح عليه السلام ليس بدعا من الرسل ، فهو أتى بها جميع الأنبياء والمرسلين من عند الله عز وجل ، وهي أن الله واحد لا شريك له .

وما كان له أن يفترى على الله غيرها وإلا لطرد من رحمة الله عز وجل ، وهذا ما يتفق مع المنطق والعقل وذلك لأنه ما دام مصدر الوحي واحد وهو الله جل جلاله فلابد أن تكون العقيدة التي يأتي بها المرسلين واحدة [١].

وصدق الله العظيم إذ يقول " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** " [٢].

وأخيرا نقول " أن هذه الأقانيم هي شرك بالله الخالق ، وهي سبب جهل الإنسان بربه ، وتمزق نفسه وحيرتها وحرمانها من الصفاء والاستقرار ، لأنه لا صفاء ولا قرار مع الشرك ، بل حيرة وشقاء وتعاسة أبدية في الدنيا وخسران ونكال في الآخرة [٣] .

ولذلك فإن الحق تبارك وتعالى يغضب من ابن آدم ويعاتبه على ذلك عتابا شديدا بسبب أنه جعل لله شريكا في ملكه وهو أغني الشركاء وعن الشرك ، فلقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى " كذبني ابن آدم وما

---

(١) دراسات في العقيدة في ضوء العقل والعلم د / أحمد سليمان ص ٢٥٣ .
(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٢٥ .
(٣) دراسات في العقيدة في ضوء العقل والعلم د / أحمد سليمان ص ٢٥٣ .

ينبغي له ذلك ، وشتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك ، فأما تكذيبه إيابي فقوله أني يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله أني اتخذت ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد [١].

فهل يا ترى لو كان للكون إلهان كما يزعمون لصار نظام الكون على الوجه الصحيح الذي نراه اليوم ؟ كلا وألف كلا ، " لأنه لو كان إلهان في الكون لأمكن أن واحدا يريد أن يفعل شيئا والآخر لم يشأ ذلك أو كلاهما يتفق في الإرادة جميعا أو تكمل فقط إرادة الآخر ، والقول الأول محال أو يكون في إرادتها تضاد ، فينبغي الواحد ما أثبت الآخر .

والثاني : أيضا محال ، لأن إرادة الواحد مقيدة بإرادة الآخر .

والثالث : باطل أيضا ، لأن الذي بطلت إرادته ليس إلها، وإما الآخر فيكون وحده إله [٢] .

وصدق الله العظيم حيث قال في كتابه العزيز : " **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** " [٣] .

وفي النهاية ما علينا إلا أن ندعو أهل الكتاب إلى الحق الذي لا يأتيه الباطل وإلى الطريق المستقيم وإلى المنهج السليم فنقول لهم كما قال الحق جل في علاه " **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ**

---

(١) الحديث ـ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب ٣١٨٢ المجلد الثالث والحديث قدسي فيما يرويه الرسول عن ربه .

(٢) المسيح والتثليث د / محمد وصفي ص ١٠٨ .

(٣) سورة الأنبياء آية رقم : ٢٢ .

بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " [١] .

وسوف أختم حديثي في هذا الموضوع بالنتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث فأقول وبالله التوفيق .

أولاً : أن القول بالتثليث له جذور تاريخية تمتد إلى قديم الزمان .

ثانياً : إن التثليث انتقل إلى النصارى من خلال التأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة .

ثالثاً : إن عقيدة التثليث لم يعترف بها النصارى رسميا إلا بعد أن شرعت وقررت في المجامع المقدسة .

رابعاً : إن بولس له أثر خطير على العقيدة النصرانية لأنه حولها من عقيدة توحيد خالص إلى شرك مطلق .

خامساً : إن المسيح عليه السلام هو عبد الله ورسوله وليس كما يزعم النصارى بأنه إله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة .

سادساً : إن العقيدة النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام هي عقيدة توحيد خالص ، ولم يتخللها أي شيء من الشرك أو البهتان .

سابعاً : إن الأناجيل لم يوجد بها لفظ صريح ينسب إلى المسيح عليه السلام يدل على عقيدة التثليث الفاسدة .

ثامناً : إن عقيدة التثليث التي يدين بها النصارى اليوم لا يقرها العقل بأية حال من الأحوال. لأنها لا تتفق مع الفطرة

---

[١] سورة آل عمران آية رقم ٦٤ .

السليمة .

تاسعاً : إن القرآن الكريم برأ المسيح عليه السلام من كل الاتهامات الباطلة التي نسبها له النصارى .

عاشراً : إن الدين الإسلامي جعل الإيمان بالأقانيم الثلاثة شركاً بالله العزيز العليم .

وأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الكريم وأن ينفع به المسلمين وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والله الموفق .

دكتور / فضلون محمد محمد مصطفى

مدرس بقسم العقيدة والفلسفة بكلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا .

مراجع البحث

١ ــ القرآن الكريم ــ كتاب الله تعالى ٠

٢ ــ صحيح الإمام البخاري طبعة دار الغد العربي ٠

٣ ــ تفسير المنار ــ للشيخ / محمد رشيد رضا ج٢ ــ الطبعة الثانية دار المعرفة ــ بيروت ٠

٤ ــ تفسير القرآن العظيم ــ للشيخ / ابن كثير ج٢ ــ الطبعة الأولى ١٩٩٩م ــ الدار المصرية اللبنانية ٠

٥ ــ التوراة ــ وتشمل كتب العهد القديم ــ طبعة دار الكتاب المقدس ٠

٦ ــ الإنجيل ــ ويشمل كتاب العهد الجديد ــ طبعة دار الكتاب المقدس ٠

٧ ــ الخلدون مائة أعظمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليف العالم الأمريكي مايكل هارت ــ ترجمة أنيس منصور المكتب المصري الحديث ــ الطبعة التاسعة ١٩٩٧م ٠

٨ ــ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة تأليف الدكتور / موريس بوكاي ــ الناشر دار الفتح للإعلام العربي ٠

٩ــ إظهار الحق ــ للعلامة الشيخ / رحمة الله الهندي الناشر / مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة٠

١٠ــ الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح تأليف شيخ الإسلام العلامة ابن تيمية تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن سعد الناشر / دار بن الهيثم ــ القاهرة ٠

١١ــ هداية الحباري في أجوبة اليهود والنصارى تأليف الإمام العلامة ابن قيم الجوزية ، تحقيق سيد عمران ــ طبعة دار الحديث القاهرة ٢٠٠٣م .

١٢ــ الفصل في الأهواء والملل والنحل ــ لابن حزم تحقيق د / محمد إبراهيم نصر ، د / عبد الرحمن عميره الناشر / دار الجيل ــ بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٩م .

١٣ــ الملل والنحل ــ للشهرستاني ــ تحقيق / محمد عبد العزيز الناشر / مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ــ القاهرة .

١٤ــ قصص الأنبياء ــ للشيخ / عبد الوهاب النجار مكتبة دار التراث ــ القاهرة ــ مطابع المختار العربي .

١٥ــ تلبيس إبليس ــ تأليف أبي الفرج بن الجوزي البغدادي ــ تحقيق السيد العربي الناشر / مكتبة الإيمان ــ المنصورة .

١٦ــ الأسفار المقدسة في الديانات السابقة للإسلام د / علي عبد الواحد وافي ــ نهضة مصر للطباعة والنشر .

١٧ــ محاضرات في النصرانية ــ الإمام محمد أبو زهرة دار الفكر العربي للطباعة النشر ــ القاهرة .

١٨ــ مقارنة الأديان ــ المسيحية ــ أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي ــ مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشرــ الطبعة العاشرة ٢٠٠٠م .

١٩ــ المسيح والتثليث د / محمد وصفي تقديم / محمد عبد الله السمان ــ مراجعة / على الجوهري دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ــ القاهرة .

٢٠ــ مذاهب فكرية معاصرة أ / محمد قطب دار الشروق ــ القاهرة ــ الطبعة الثامنة ١٩٩٢م ٠

٢١ــ التثليث بين الوثنية والمسيحية د / محمود على حماية ــ الطبعة الثانية ١٩٩٠م ٠

٢٢ــ المسيحية الحقه كما جاء بها المسيح عليه السلام بين الالتزام والتحريف ودعوة الإسلام تأليف الأستاذ / علاء أبو بكر ــ الناشر مكتبة وهبه ــ القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٧م ٠

٢٣ــ دراسات في العقيدة في ضوء العقل والعلم د / أحمد محمد محمود سليمان ــ الناشر / دار الكتاب الجامعي ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ١٩٨١م ٠

٢٤ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين تأليف العلامة ــ أبو الحسن الندوي ــ مكتبة الإيمان المنصورة ٠

٢٥ــ الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل تأليف / حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي تحقيق د / أحمد حجازي السقا ــ الناشر مكتبة زهران ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٢م

٢٦ــ الرد على النصارى ــ تأليف الإمام القاسم الرسي تحقيق إمام حنفي عبد الله ــ دار الآفاق العربية الطبعة الأولى ٢٠٠٠م٠

٢٧ــ قصة الحضارة ــ تأليف ول ديورانت طبعة الإدارة الثقافية ١٩٧٣م ٠

٢٨ــ المسيح في الإنجيل بشر د / ممدوح جاد ــ طبعة ١٩٩٣م ٠

٢٩ــ حولية كلية أصول الدين بأسيوط ــ العدد الرابع عشر لعام ١٩٩٦م ٠

٣٠ــ حولية كلية أصول الدين بأسيوط ــ العدد الثامن عشر الجزء الأول لعام ٢٠٠٠م ٠

والله الموفق ،،،،